

# أعلامير مغرب

عباس محمود العقاد



أعاصير مغرب



# أعاصير مغرب

تأليف

عباس محمود العقاد



هنداوي

رقم إيداع ١٦٣٢٣/٢٠١٣

تدمك: ٣ ٣٩٩ ٧١٩ ٩٧٧ ٩٧٨

**مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة**

جميع الحقوق محفوظة للناشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة

المشهرة برقم ٨٨٦٢ بتاريخ ٢٦/٨/٢٠١٢

إن مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره

وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه

٥٤ عمارات الفتاح، حي السفارات، مدينة نصر ١١٤٧١، القاهرة

جمهورية مصر العربية

تليفون: ٢٢٧٠٦٣٥٢ + ٢٠٢ فاكس: ٣٥٣٦٥٨٥٣ + ٢٠٢

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: http://www.hindawi.org

تصميم الغلاف: إيهاب سالم.

جميع الحقوق الخاصة بصورة وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة. جميع الحقوق الأخرى ذات الصلة بهذا العمل خاضعة للملكية العامة.

Cover Artwork and Design Copyright © 2013 Hindawi

Foundation for Education and Culture.

All other rights related to this work are in the public domain.

## المحتويات

٧	الإهداء
٩	مقدمة في اسم الديوان
١٧	في العالم
٢٣	في النفس
٥٧	في مصر
٦٧	في عالم الذكرى
٨٣	هنا ... وهناك



## الإهداء

إيه يا من أوحت الشعر وخانت شاعره  
لك أهديه لوحيك

\*\*\*

إيه يا من ليس يوحيه ويمسي ذاكره  
لك أهديه لرعيك

\*\*\*

هكذا أبرأ في الحاليين من حمد خيانة  
وأصون العهد ممن رام شعري بصيانة  
وأداري حيرتي خافية أو ظاهرة!





## مقدمة في اسم الديوان

شاعر نرجع إليه كما نرجع إلى الصديق الذي نأنس به، ونستطيب الكلام والصمت معه. وشاعر نرجع إليه كما نرجع إلى الكتاب الذي نستمتع به ونحب القراءة فيه. وبين الشعارين فارق، فما هو؟ أيكون الأول أصدق في الشاعرية، وأجزل في العبارة وأجود في الصناعة، وأجمل في الأسلوب؟ قد يكون كذلك.

ولكنه كذلك قد لا يكون.

لأن الصديق الذي نأنس إليه، ونستطيب الكلام والصمت معه لا يلزم أن يكون خيراً من الغريب الذي لم نعرفه ولم نأنس إليه. فقد يكون بين الغرباء من هو أفضل من أصدقائنا خلقاً، وأجمل سمياً وأطيب سيرة، وإنما يحبب الصديق إلينا أنه يشاركنا في الشعور، ويعيش معنا في عالم نفساني واحد، وتلك بعينها هي مزية الشاعر الصديق على الشاعر الذي نقرؤه ولا نشعر له بصداقة. فهو ينظر إلى الدنيا كما ننظر إليها ويحس بها كما نحس بها. وإن لم يكن كذلك واختلفت بيننا وبينه وجهة النظر ومذاهب التفكير، فلعله مع هذا أقرب إلى تعزيتنا، والنفاذ إلى ضمائرنا من شعراء آخرين لا يبتئون في نفوسنا العزاء، ولا يعرفون إلى ضمائرنا طريق نفاذ، أما الشاعر الذي نقرؤه ولا نصادقه، فقد يجيد ويفضل غيره في الإجابة، ولكنه غريب نلقاه كما تلقى كل غريب. من الشعراء الذين نرجع إليهم رجوعنا إلى الصديق في اللغة العربية أبو العلاء وابن الرومي والشريف.

ومنهم في اللغات الأوروبية ليوباردي، وهنريك هيني، وتوماس هاردي، وهذا فريد عندنا في هذه الخصلة بين المحدثين المعاصرين.

رجعت إليه وأنا أفكر في طبع ديواني الجديد، واختيار الاسم الذي يناسبه، فقرأت له الأبيات التي يقول فيها:

أنظر إلى المرأة، فأرى هذه البشرة الذابلة تنقبض، فأتوجه إلى الله مبتهلاً إليه: أسألك يا رب إلا ما جعلت لي قلباً يذبل مثل هذا الذبول.  
إنني إذن لأحس برد القلوب من حولي فلا ألم ولا أحزن، وإنني إذن لأظل في ارتقاب راحتي السرمدية بجأش ساكن وسمت وقور.  
غير أن الزمن الذي يأبى لي إلا الأسى قد شاء أن يختلس، فلا يختلس كل شيء، ويترك فلا يترك كل شيء، ولا يزال يرجف هذه البنية الهزيلة في مسائها بأقوى ما في الظهرية من خلجة واضطراب.

فما أتممت هذه الأبيات حتى خطر لي الاسم الذي اخترته لهذا الديوان، وهو «أعاصير مغرب»، وإن لم يرد في الأبيات ذكر للأعاصير.

أعاصير مغرب اسم صالح لجملة الشعر الذي احتوى هذا الديوان؛ لأنه نظم وعالم الدنيا مضطرب بأعاصيره، وعالم النفس مضطرب بأعاصيره، ومنه ما يشبه الأعاصير التي هزت كيان «الشيخ» هاردي، فتمنى من أجلها ذبولاً في القلب كذبول إهابه.  
ورأيت في الغزل الذي نظمته هاردي بين السبعين والثمانين ليس بالرأي الحديث، فلم أعجب به اليوم؛ لأنني صاحب ديوان بعد «وحي الأربعين»، بل أعجبت به؛ لأنني كنت أرى في زمن الفتوة أن الشعور والتعبير لا ينتهيان بانتهاء الشباب، ومتى بقي الشعور والتعبير، فما الذي فني من مادة الغزل والغناء؟

واتفق منذ بضع عشرة سنة أنني كتبت في هذا المعنى،<sup>١</sup> وأن كتابتي فيه كانت بصدد الكلام عن هاردي الذي أوحى إليّ اليوم اسم ديواني الجديد، فأثنت على غزله أجمل ثناء، وقلت أجيب الأديب الأستاذ سيد قطب الذي استغرب إجادة هاردي شعر الغزل في السبعين من عمره: «وإن المسألة بعد ليست مسألة نظريات يُرجع فيها إلى تباين الآراء والأذواق، وإنما هي مسألة حقيقة لا ريب فيها ولا اختلاف عليها؛ إذ كل ما يجب علينا لنقول إن الشيخوخة تجيد الغزل أحياناً، هو أن نعلم أن توماس هاردي نظم شعر الغزل بعد السبعين، وأن ما نظمته بعد تلك السن كان جيداً مقبولاً رضي عنه قراء الشعر واستزادوه، وأنه كان هو من أسباب تلك الشهرة الذائعة التي أحرزها في عالم الشعر بين قراء الأدب الرفيع بعد اشتهاه بالرواية وحدها في سن الشباب. فهل

نظم توماس هاردي غزلاً جيداً بعد السبعين! نعم. وإذا كانت نعم هي الجواب الذي لا بد منه، فلا حيلة للنظريات ولا لتعريفات الشباب والحب والغزل في نفي هذه الحقيقة المقررة.»

ثم قلت: «على أننا لو فرضنا أن توماس هاردي لم يخلق في هذه الدنيا، ولم يكن بين أيدينا هذا المثل القريب، ولا مثل غيره من الشعراء الشيوخ الذين ساهموا في المعاني الغزلية، وبلغوا فيها بعض الإجادة أو كلها؛ فهل تمنعنا النظريات ومراقبة الظواهر النفسية أن ننتظر المعاني الغزلية بعد انقضاء الشباب؟ أما نحن فنقول: لا؛ لأن الحب شيء والغزل شيء غيره، وإن كان الحب هو موضوع الغزل والمعنى الذي يدور عليه.»

«فالحب» عاطفة شائعة بين الناس، بل شائعة بين من ينطق وما لا ينطق، ولسنا نعني الصلة الجسدية التي تنقضي بانقضاء دوافع الفطرة، فإن هذه لا تسمى حباً ولا هي من العلاقات القائمة بين فرد بعينه وفرد آخر بعينه؛ لأنها فوضى مشتركة بين جميع الذكور وجميع الإناث من فصيلة واحدة.

ولكننا نعني الصلة النفسية التي تجمع الفردين معاً بعلاقة لا يغني فيها أي فرد آخر من الفصيلة. وقد ثبت للباحثين في طبائع الأحياء أن بعض الطيور والحيوانات تتزاوج مدى الحياة، وينتقل الذكر والأنثى منها آلاف الفراسخ بين أوروبا وإفريقيا، ثم يعودون من تلك الرحلة إلى حيث كانا سنة بعد سنة، حتى يموت أحدهما، أو يعتاقه عائق لا قدرة له عليه.

فالحب على هذا يستلزم الغزل لا في الإنسان ولا في غيره من الأحياء، وإذا قلنا: لكل حي غزله الذي ينطق بما في نفسه، فليس يسعنا أن نقول إن كل محب شاعر، وإن كل متغزل فنصيبه من الحب مثل نصيبه من الغزل على السواء.

إن الذين يقتلون أنفسهم حباً من غير الشعراء الغزليين أكثر جدًّا من الذين يبلغون في الحب هذا المبلغ بين أولئك الشعراء. فلا ريب أن الشاعر لا يُحسن الغزل بغير حب، ولكن لا ريب كذلك في أن الحب قد يعلو حين يهبط الغزل، وأن الغزل قد يعلو حين يهبط الحب، على درجات لا تتناسب بينها في العلو والهبوط ...

والشباب هو سن احتدام الشعور وهجوم الحياة، ولكن أي شباب وأي شعور؟ فقد يقضي الفتى أوائل شبابه، ولا معنى للحب عنده إلا أنه «وظيفة فيزيولوجية» مبهمة يساق إليها بغير هداية ولا تمييز. وقد يطلب الشريك في الحب، وهو لا يعلم ما الذي يطلبه فيه، وما الذي يأخذه منه وما الذي يعطيه؟ لأن الحب عنده هو جوعة جسدية

أو نفسية يشبعها أي شريك يصادقه، ويلفيه على مثل حاله من الرغبة والاشتياق. وقد يكون احتدام شوقه ناقصًا من حبه، كما أن احتدام الجوع في الجائع يغنيه بكل طعام حاضر، ويجعل الأكل هو المقصود لذاته، لا الصنف، ولا الطعم الذي يميز ذلك الصنف من سواه.

والحب على أتمه وأعمه وأقواه هو تفاهم بين نفسين، وامتزاج بين قلبين وجسدين، وقبل أن يفهم الإنسان نفسه كيف ينشد التفاهم مع نفس حبيبه، وقبل أن ينكشف له قلبه كيف يعرف مواضع الكشف والحجاب من القلوب، وقبل أن يكمل بناء جسمه كيف تكمل فيه رغائب الأجسام، وقبل أن يعرف النساء كيف يعرف المرأة؟ بل قبل أن يزاول الحياة كيف يزاول لباب العاطفة التي تنضجها الحياة.

فليس الاحتدام هو الحب نفسه؛ لأن هذا الاحتدام قد ينقص من الحب، كما أن الحب قد يلهب الاحتدام فيمن لم يكن يعانيه ...

فللشباب حبه، وللرجولة حبها، وللكهولة بعد ذلك حب لا يشبه الحبين ...  
وإذا تقضى الشباب وتقضت بعده الرجولة، وتقضت بعدهما الكهولة، فهل تنفذ مؤنة الغزل وهل يبطل دواعيه؟ كلا! فهناك الحنين والتذكار، وكلاهما مؤنة للغزل لا تنفذ وداعية حاضرة في كل حين. ولو سألنا الشعراء الذين عالجوا النظم في خوالج النفوس شيوخيًا وشبابًا لعلمنا منهم أن خير ما نظموه في شوق أو حزن، أو ألم أو خالجه نائرة أيًا كان فحواها إنما كان كله من قبيل الحنين والتذكار؛ لأنهم ينظمون بعد فوات الثورة الداهمة واطمئنان اللوعة العارضة، فيسلس لهم المعنى ويصفو الشعور من كدر الدخان والضرام ...

فلا عجب أن يجيد هاردي الغزل أو يجيده سواه من الشيوخ، سواء أنظرنا إلى الحقيقة الواقعة التي لا ريب فيها أم نظرنا إلى المعهود من أطوار النفوس والقرائح. وقد يحسن أن نذكر بعد هذا أن إجادة هاردي في الغزل لم تكن إجادة مطلقة يطمع فيها كل شيخ ينظم القريض، وتثبت له العبقرية، ولكنها كانت إجادة هاردي عليها سمة الرجل، وفيها طبيعة مزاجه التي لم تفارقه في شباب أو شيخوخة.

ومضت الأيام والسنون بعد كتابة هذا المقال، فلم يكن فيما قرأت ولا فيما عرفت شيء يخالف ما بدا لي من هذا الرأي منذ نظرت في حقائق العاطفة والتعبير. وأحرى أن نعلم مع الزمن أن العاطفة ألزم للحياة الإنسانية، وألصق بها وأعرق فيها من أن تحصرها فترة واحدة، أو تحتويها صورة واحدة، أو يختمها عهد واحد. فهي — ككل

شيء في الحياة — تزداد فهمًا على طول المصاحبة، وطول المراس والمساجلة، وعلى حسب ازدياد الفهم يزداد التعبير، ويزداد الاستكناه والتصوير، وبخاصة بين الذين يقضون حياتهم في عالم الشعور والجمال، وهو عالم الفنون والآداب، وهم الشعراء والموسيقيون والمصورون والممثلون.

ويصح على هذا أن يكون الشباب عهد ابتداء العاطفة وافتتاحها على صورتها الأولى، أو هو العهد الذي تُفاجأ فيه البنية بشعور جديد لم تكن لها به خبرة من قبل، فيشاهد عليها ما يشاهد على كل بنية تفاجئها حالة طارئة. فإن المفاجأة إذا عرضت لإنسان بدا لك في حالة كحالة الشاب في أول عشقه: وجهٌ ساهم، وفم مفعور، وطرف زاهل، ولسان معقود، ونفس مطرود ... وهذه هي الحالة التي يخيل إلى من يراها أنها العشق دون غيره، مع أنها أخرى أن تدل على أن العشق مفاجأة لم تعدها البنية ولم تألفها النفس، فلم تنزل بها حاجة إلى التثبُّت منها والرياضة عليها. ثم تأتي هذه الرياضة شيئًا فشيئًا مع تعاقب الأيام وتعاقب ألوان الشعور.

في هذه الحالة — حالة المفاجأة — تتفتح النفس على عالم مسحور حافل بالصور والبخاريف والأسرار، وتجد القريحة بالمعنى البكر والخيال الطريف، وتتسع للشاعر منادح للإحساس ولوصف الإحساس يركض فيها ركض السبق والتجلية إن كان من السابقين المجلين. ولكن سحر المفاجأة يمتنع بعد قليل أو كثير، فلا يمتنع عليه سبيل القول بامتناعه، كالذي تسحره المدينة لأول نظرة فيصفها على التو والساعة في الصورة المتوهجة التي أضفاها عليه سحرها، ثم يقيم فيها سنة وسنوات، فلا يجهلها بعد معرفة، ولا يعز عليه وصفها بعد قدرة. ولكنه يصفها غير مسحور ولا مبهور، فيخسر وصفه ذلك الوهج اللامع ثم يعوضه نفاذ النظر، وطول الخبرة وصدمة المشاهدة، كأنما تغيرت المدينة وهي لم تتغير بين النظرتين، ولا أخطأ واصفها في إحدى الحالتين.

وإذا كان هذا شأن المدينة المحدودة، فكيف يكون شأن العالم النفساني الذي ليست له حدود؟ وكيف يستنقذ هذا العالم الرحيب في نظرة واحدة ولا سيما نظرة المفاجأة والمعرفة الأولى؟ وكيف يفهم العاطفة الإنسانية من يحسبها ضيقًا يفارق الحياة بعد المصافحة الأولى، ولا يعلم أنها هي صاحبة الدار، وأنها هي الحياة؟

فالأعاصير الطاغية تعصف على العالم النفساني حيثما تشاء على اختلاف الأوقات والأجواء، وليست أعاصير المغارب بدعًا في عالم الأكوان ولا في عالم الإنسان.

وقد أشار عليّ صاحبنا هاردي، فأحسن المشورة فيما اخترتُ لتسمية هذا الديوان، فقد نظمته بين ثوائر الأفكار، وثوائر الحروب وثوائر الصدور، فلو بحثت له عن عنوان أدل علي ما فيه لانقطع عنان الاختيار دون المراد.

سألني صديق يرى أنني تشاءمت من حيث يتفاعل فقال: ولم استعجلت المغرب، وقد أجّله صاحبك هاردي إلى ما بعد السبعين بل الثمانين؟ قلت: يا صديقي اقرأ أبيات بيرون إن شئت ولا تقرأ أبيات هاردي إن لم تشأ، فإنما هي حالة تلم بالرجل فيما قبل الأربعين، كما تلم فيما وراء السبعين. وبيرون ماذا قال في السادسة والثلاثين؟ ماذا قال وهو في يقظة الحياة ومعتك النضال؟

نظم تلك الأبيات التي سماها بعضهم «عيد ميلاد أخير»، فقال:

آن لهذا القلب أن يسكن، مذ عز عليه أن يحرك سواه، ولكني وقد حرمت من يهوى إليّ، حسبي نصيباً من الحب أن أهوى.  
إن أيامي لمكتوبة على الورقة الداوية، إن زهرات الحب وثماره ذهبت إلى غير رجعى، إنما السوس والديدان وحسرة الأسى، هي لي ... لي وحدها تحيا.  
وهذه النار التي تأكل الحنايا، كأنها جزيرة بركان في عزلة قاصية، حممها لا توقد جذوة أخرى، وإنما هي نار تبيت على سرير الردى.  
وتلك الأشواق والأوجال والهموم الغيرى، ذلك الحظ المقسوم من اللوعة العليا، تلك القدرة على الهيام والهوى، ليس لي منها حصة تبقى، فما لأغلالها في عنقي لا تنزع ولا تبلى؟

نظم بيرون هذه القصيدة في عيد ميلاده السادس والثلاثين، ولم يكن يعلم أنه عيد ميلاده الأخير الذي لا حب بعده ولا حياة، ولكن هكذا كان على ما أراد أو على غير ما أراد. فماذا تغني السنون القصار أو السنون الطوال؟ إنما هي حالات تلم بالنفوس في كل حين، وإنما التفاؤل والتشاؤم لسانان يقولان، وللزمن وحده أن يصدقهما أو يكذبهما فيما يقولان.

فإن تشاءمت أيها الصديق بأعاصير الغروب، فانكر متفائلاً أن ساعات الغروب هنا بغير حساب. فمنذ سنين جمعت دوايني الشعرية فسميت الجزء الأول منها «يقظة

الصباح»، وسميت الجزء الثاني «وهج الظهرية»، وسميت الجزء الثالث «أشباح الأصيل»، وسميت الجزء الرابع «أشجان الليل»، ثم ظهرت لي بعد ذلك الليل وأشجانه ثلاثة دواوين هي: وحي الأربعين، وهدية الكروان، وعابر سبيل. ثم ها نحن أولاء في هذا المغرب وفي هذه الأعاصير. فهل نحن راجعون؟ وهل للشمس من «يوشع» يؤجل لها مواقيت الغروب؟ إن كان للشعر «يوشعه»، فليس نصيب هاردي من مغربه المديد أمنية أشتيهها، وليس نصيب بيرون في ضحاه القاتم نعمة أرتضيها، وإن كانت الكلمة في هذا للقضاء يفعل ما يشاء، ويتبع أسلوبه في الإطناب والاقتضاب حين يرتجل كل كتاب.

عباس محمود العقاد

## هوامش

(١) البلاغ الأسبوعي ٩ مارس سنة ١٩٢٨.





## في العالم

يارب ... ويا خلق!

يارب!

يا رب أعطيناك أرواحنا  
يا ربنا فاقض لنا مرة  
في هذه الحرب وفي الماضي  
بالسلم في أيامنا الباقية

يا خلق!

يا خلق ما أرواحكم سمحة  
أعطيتم إبليس أضعافها  
وبعتم في سوقه كل ما  
لم تشتروا السلم بأرواحكم  
عطاؤكم إبليس سمح بلا  
وما بذلتم قط لي قربة  
عندي، ولا إن سمحت كافية  
من حيوات عندكم غالية  
وهبتكم من عيشة راضية  
بل اشتريتم نقمة ثانية  
أجر ولا أمنية خافية  
إلا رجاء العفو والعافية!

## عباد الطغيان

كلكم، كلكم مع الغالب الظا  
لو وقفتم يوماً إلى جانب المغلو  
لم لا تعدموا من الظلم رغما  
ب ما فاز غالب قط ظلما

## قريب قريب

عجبنا زماناً لهذي الحروبُ  
أتعجب من أن قومًا تمو  
وما قسوة الناس بدعُ ولا  
فهذي هي الحرب يا صاحبي  
وما في الحروب لعمري عجيبُ  
ت، ومن أن قومًا قساة القلوبُ  
أرى موتهم بالجديد المريبُ  
كلا طرفيها قريبٌ قريبُ

## فصد!

قالوا: هي الحرب فصدّ  
قلنا: نعم، فصد عرق  
به الشفاء يُؤمّل  
حي وإعفاء دمل

## الخلود المزدري

نفوسُ أعاف مقامي بها  
وسجن أعاف وجودي به  
فدع عنك يا صاحبي خالدٍ  
فلا خير في عيشتهم سرمداً  
أأخذ فيها؟ لبئس الخلود!  
أليس كفيلاً ببعض الوجود؟  
ك، وقل من مُزكُّ لهم أو شهيد  
إذا سُرمدا في ضمير القروء  
ن، ونسيان قوم كفك القيود



### سوء توزيع

دنياك فيها جمال  
تُلَقَى ولا تبتغيها  
هذا هو الشر عندي  
ورحمة وسرور  
وتُبتَغى فتجورا  
ومنه تنمو شرور

## بأس الطغاة

بأس الطغاة تقول؟! مهلاً، عداك الذهول  
هيهات يطغى ابن أنتى في أمة أو يصول  
ما لم يعنه عليها جهل وحقد دخيل  
هما الأصيلان فاعلم وكل طاغ وكيل  
وما لطاغٍ سبيل لولاهما أو دليل

## الداء العالمي

أرثي له عالمًا شقيًا يقاد مستسلمًا زريًا  
ومن هم القائدون؟ رهط من شرهم خسة وغيا  
هذا هو الداء لا قتال يطوي صفوف الجموع طياً  
فالجهد يزري بكل حي ولا تعيب المنون حياً

## قلت للمريخ<sup>٢</sup>

قلت للمريخ: أعذله وهو يذكي جمرة الغضب  
ويك! ما هذا الخراب؟ وما ذلك الإغراق في العطب؟  
أمم تسطو على أمم ولظى ثورة اللهب  
ودماء كالبهار على عيلم<sup>٣</sup> للدمع منسكب  
وقبور كظّها تحمًا جنثُ الهلكى من السَّغب<sup>٤</sup>

\* \* \*

قال: مه يا صاح أين ترى كل ما استهلوت وا عجبى  
أرضكم ما زلت أبصرها نائياً حيناً وعن كئيب<sup>٥</sup>  
هيئن ما قد تبدل من سمتها في هذه الحقب

## جزاه الله

جزى الله هتلر أوفى الجزاء  
فما زال يقذف من حوله  
ألم نر كيف يكون الحقير  
وينهى ويأمر في قومه  
ويغزو الممالك في عالم  
ويفتح باريس في وثبة  
فوالله ما الحرب في هولها  
بضائعةٍ عبثًا لو درى  
فقد يضخم العمل المزدري  
بما قد أجاد وما قد أساء  
مواظمً يلقفها من يشاء  
حقيرًا ويقضي بأيدي القضاء  
ويبرم في أمرهم ما يشاء  
تُفدَى ممالكه بالدماء  
ويوصد لندن دون الهواء  
وفي كل ما خيبت من رجاء  
بنو آدم كيف يُزجي الثناء  
فيضخم ضعفين في الازدراء

## هوامش

- (١) جار عن الطريق: حاد عنه.
- (٢) المريخ في أساطير الأقدمين هو رب الحرب.
- (٣) بحر.
- (٤) الجوع.
- (٥) عن قرب.



## في النفس

هذا هو الحب!

غريرة تسأل: ما الحب؟

بنيتي! هذا هو الحب!

الحب أن أبصر ما لا يرى      أو أغمض العين فلا أبصرا  
وأن أسيغ الحق ما سرنى      فإن أبيت، فالكذب المفترى

\* \* \*

الحب أن أسأل: ما بالهم      لم يعشقوا المنظر والمخبرا؟  
ويسأل الخالون ما باله      هام بها بهراً وما فكرا؟

\* \* \*

الحب أن أفرق<sup>١</sup> من نملة      حيناً، وقد أصرع ليث الشرى  
وأن أراني تارة مقبلاً      وخطوتي تمشي بي القهقرى

\* \* \*

الحب كالخمر فإن قيل لي:      سكرت؟ همَّ القلب أن ينكرا  
وكل عضو بعده قائل      نعم، ولا أحفل أن أسكرا

\* \* \*



أعاصير مغرب

الحب أن يفرق أعمارنا      عهدان، والعهد وثيق العرى  
أحسبني الأكبر حتى إذا      عانقني ألفتني الأصغرا

\*\*\*

الحب أن نصعد فوق الذرى      والحب أن نهبط تحت الثرى  
والحب أن نوثر لذاتنا      وأن نرى ألامنا آثرا

\*\*\*

الحب أن أجمع في لحظة      جهنم الحمراء والكوثرا<sup>٢</sup>  
وإنني أخطئ في لهفتي      من منهما روى ومن سغرا

\*\*\*

الحب أن يمضي عام وما      هممت أن أنظم أو أشعرا  
وربما علقت في ساعة      حواشي الدفتر والأسطرا

بنيّتي! هذا هو الحب  
فهمته، كلا، ولا عتب!  
مسألة أسهلها صعب  
لا الناس تدرّيها ولا الكتب  
حسبك منها، لو شفت حسب  
إشارة دق لها القلب

عمر زهرة

فريدة في روضها      عيشي وأهدي غيرها  
ألسنت أنت مثلها      علمت أو لم تعلمي  
هدية الخلاق لي      وقد رأى تنسمي؟<sup>٢</sup>

\*\*\*

## في النفس

زهرتك البيضاء هلْ      لا تذكرين نشرها؟  
حفظتها في خدرها      هل برحت مقرها؟  
حفظتها، حفظتها      فهل حفظت سرها؟  
قصصت منها عقدة      لكي أطيل عمرها

\*\*\*

من يحفظ الزهرة أسبوعًا إلى تمامه  
قد يحفظ الحب إلى السابع من أعوامه  
فانتظريه في غد يسأل عن غرامه  
ولا يمسه إلا لكي يزيد في أيامه

\*\*\*

وتسألين ما لنا      نقص منه يا ترى؟  
نعم فكل —      يُّ ناقص ما عُمرًا  
كم ساعة نبترها      تزيد فيه أشهرًا  
فلا يزال مشتهًى      ولا يزال أخضرًا

## كوبيد يتسلل

نفض النعاس فؤاده وصبا  
ونفى السامة بعدما بلغت  
وجرى الذي ما كان يحسبه  
في توبة الخمسين يشغله  
ويظل يسأله، وإن وهبا  
ويعد منه الزور مأثرة  
رجع الهوى، عجبًا له، عجا  
لم أوله بابا ولا كنفنا  
ناديته حينًا فراوغني  
وصحا، فمال، فهم، فاضطربا  
منه المشاش، ° وعاود اللعبا  
يومًا يكون، وطالما حسبا  
وجه، ويملاً صدره رغبا  
ويبيت يسمعه، وإن كذبا  
أولا يريد بزوره سببا!  
لا طاغيًا وافى ولا لجبا  
عندي، فكيف أطل واقتربا  
فاليوم ناداني وما طلبا

بيننا أقول صدده حذرًا      طلع النهار إذا به انسربا  
لُد يا بني بمن يلاذ به      ولك الحمى، ما لم تهج غضبا

\*\*\*

هذا الصغير على غرارته      يدري النفاق ويحسن الأدبا  
وتراه في العشرين مستبقًا      وتراه في الخمسين مصطحبا  
ويغيظ من كيد وعريدة      فإذا أُغِيظَ شكا أو انتحبا  
تمرسًا بالدهر مختبرًا      خيم القلوب محاذرًا دربا  
سأضمه رفقًا، وأوسعه      برًا، وأملك قلبه حدبا<sup>٧</sup>  
ويقيم لا أخشى كنانته<sup>٨</sup>      السهم أخطأ والحسام نبا

\*\*\*

أكذاك أم هو خادعي أبدًا      حتى إذا أمن الحمى انقلبا؟  
سيان، ما أنا حاذر لغد      أغلبته بالكيد أم غلبا  
حذري أشد عليّ من خدع      تُشقى وتُسعد بالمنى نُوبًا  
في كل يقظة خائف هرم      ومع الخديعة لذة وصبا

## مسرة واحدة

تم الكتاب وألقت باليراع<sup>٩</sup> يدي  
ما لي به غير مسرور ولا كلفٍ  
ضيعت فيك مسراتي فما بقيت  
لولا هواك لألهاني السرور به  
وَضْمَنُ الطرُسِ إحساسي وإدراكي  
ألا يَسْرُ يمينًا نبتها الزاكي  
لي من مسرة شيء غير لقياك  
عن عالم ضاحك أو عالم باك

## دنيا مقلوبة

صوت النذير<sup>١٠</sup> الذي أبقاكِ خائفة  
أو البشير الذي يدعوكِ ثانية  
الحب والحرب وا وَيُلا قد اجتمعا  
على ذراعِيّ قولِي كيف أخشاه؟  
إلى الطريق لعمرِي كيف أرضاه  
في القلب فانقلبت أحوال دنياه!

## الحب

ما الحب روح واحد  
الحب روحان معاً  
ما انتهيا من فرقة  
في جسدي معتقين  
كلاهما في الجسدين  
أو رجعة طرفة عين

## الطير المهاجر

علمتني مواسم الروض أن الـ  
أتراني لا أسمع الطير إلا  
رب شادٍ في هجرة يتغنّى  
من جنوب إلى شمال، وحيناً  
فله حين يستقل<sup>١٢</sup> وداع  
خذ من الطير كل يوم جديداً  
كم مُولِّ وصفوه لا يُولِّي  
طير شتى: مهاجر ومقيم  
في رياضي معششاً لا يريم<sup>١١</sup>  
وعليه السلام والتسليم  
من شمال إلى جنوب يحوم  
وله حين يقبل التكريم  
فسواء جديده والقديم  
ومقيم وصفوه لا يقيم

## الصدار الذي نسجته

هنا مكان صدارك      هنا هنا في جوارك

\* \* \*

هنا هنا عند قلبي      يكاد يلمس حبي

أعاصير مغرب

وفيه منك دليل على المودة حسبي

\* \* \*

ألم أنل منك فكرة في كل شكة إبرة  
وكل عقدة خيط وكل جرة بكرة!

\* \* \*

هنا مكان صدارك هنا هنا في جوارك  
والقلب فيه أسير مطوّق بحصارك!

\* \* \*

هذا الصدار رقيب على الفؤاد قريب  
سليه: هل مرّ منه إليّ طيف غريب؟

\* \* \*

نسجته بيديك على هدى ناظريك  
إذا احتواني فيني ما زلت في إصبعك

## قولي مع السلامة

نعم مع السلامة والحب والكرامة

\* \* \*

حديثك الممتع لي  
من ثغرك المقبّل  
وأنت لي في منزلي  
وشيكّة أن تخجلي  
من قبلة حرّى إلى  
لغو إلى ابتسامه

في النفس

ولا تقولي عندها

لا، لا، مع السلامة

حتى إلى القيامة

\*\*\*

أما إذا مسرتي<sup>١٢</sup>

نادتك يا حبيبتي

فاستمعي تحيتي

ثم «أسألي عن ليلتي»

ثم اضحكي وسلسلي

ضحكتك النغامة

فإذا أطلت بعدها

فهذه علامة

قولي مع السلامة      قولي مع السلامة

## الغيرة

إذا رابك القلب الذي لا تنوشه  
فلا تحسبي أنني خليٌّ من الهوى  
ولكنني راضٍ بما تظهرينه  
فلست إلى ما فات منك تراجع

مخالب من وسواسه أو نواجذ<sup>١٤</sup>  
ولا أنني سأل هواك فنابذ  
وما أنا في السر المغيب نافذ  
ولا أنا معط فوق ما أنا آخذ

## هبة لا تنقل

تريدين قلبي؟ خذيه خذيه!  
دعيه إذا غبت عني أرى  
وسرُّ أبوح به خلسة

رويدك، لا، بل دعيه دعيه!  
محيك فيه وحببي فيه  
وإن كنت من قبل لم تسمعيه

أخاف على البعد أن تلعبني  
فكم لعبة وقعت من يدي—  
إذا ما لعبت به ها هنا  
تريدين قلبي؟ خذيه خذيه  
به يا بنية أو تهمليه  
ك وقوعاً أرى القلب لا يشتهي  
فإني لأمن أن تكسريه  
ولكن بربك لا تنقليه

### بعض الزراية

بعض الزراية نافع  
لولا الزراية لم تطق  
ما حبهن من المها  
في حبهن فلا تغال  
منهن مشنوء<sup>١٥</sup> الخصال  
نة في قرارته بخال

### قبل السكر

لمع الشراب وراق منظره  
حتى إذا غالبت سكرته  
شكرًا: فما أقسى المغبة لو  
قد حان أسلم لي، وإن فتنت  
فرشفت منه خلاصة الراح  
صفقت<sup>١٦</sup> فرددت أقداحي  
أمسى يشاب ولست بالصاحي  
عينني لمعة حسنه الضاحي

### لغير البيع!

جواهر الحب قالوا: غير زائفة  
كلا، ولا أنا من شك ولا ولع  
خذ معدن الحب إن ألفيت معدنه  
ما للأناسي من حب يدوم ولا  
مهلاً، فما أنا فيه بائع شار  
بالسر عارض أحجاري على النار  
إني قنعت بومض منه غرار  
حب يقوم على صدق وإيثار

## جزاء التحدي

بُنِيَّةٌ ما صنعت؟ جزاك ربي      بحب في مشيبيك مثل حبي  
لقد غَيَّرْتَنِي حتى لو اني      أرى قلبي إذن لجهلتُ قلبي

\* \* \*

سليني كيف كنت وكيف صرت      وقولي ما صنعت وما صنعت  
قدرت على الحوادث بعد لأي<sup>١٧</sup>      وهأنذا كأني ما قدرت

\* \* \*

أخاف وكان لي قلب قرير      فهأنذا إذا صفر النذير<sup>١٨</sup>  
أتوق إلى غدٍ لتراك عيني      وأرجم من يغار بمن يغير

\* \* \*

وكانت لي سلاام أرتقيها      فرادى لا أبالي ما يليها  
فعدت مثنياً عَجلاً كأني      أخو العشرين مرتقياً سنيها

\* \* \*

وكنت من السامة لا أبالي      أذم الناس أم حمدوا فعالي  
فهأنذا أسائل ما عساها      ستسمع في من قيلٍ وقال

\* \* \*

وكنت هزئت حتى بالجمال      وحتى بالفنون وبالمعالي  
فما لي اليوم لا أرضى بحال      وكنت الأمس أرضى كل حال؟

\* \* \*

أعود إلى الحياة فتلك عندي      هموم المستعيد المستعد  
تحديت الحياة فهل جزتني      بهذا الحب عن ذاك التحدي؟



## إعفاء

أعفيك من حيلة الوفاء  
خوني! فما أسهل التقصّي  
وليس بالسهل في حسابي  
إنك أحلى من الوفاء!  
عندي وما أسهل الجزاء  
فقدك يا زينة النساء

## الحب الضاحك

فرغت من الحب الذي يعقب الشكوى  
بذلت له ناري ثلاثين حجة  
ومحّضته ماء الشباب فما ارتوى  
رضيت بما أعطى وأحسبه ارتضى  
فلا زال في عقباه ضحكًا بلا بكا  
فحبي من النعمى، وليس من البلوى  
فلا نار بعد اليوم، اليوم للحلوى!  
فهل في خريف العمر يطمع أن يروى  
بما أنا معطيه على غير ما يهوى  
ووصلًا بلا هجر، وهجرًا إلى سلوى

## زهرة ديسمبر

خل أيّار ونوّارا له  
خير نواري الذي أهديته  
عيد ميلادك من بستانه  
هات يا كانون زهرًا كلما  
ربما أعجب قومًا، ربما  
زهرٌ في شهر كانون<sup>١٩</sup> نما  
يا ربيعًا في الشتاء ابتسما  
سقط الزهر تعالى وسما

## من تقليد «نشيد الأناشيد»

أجلّ تلك خباياها  
فهل تدرين ما ذا  
وهاتيك خطاياها  
ك الذي يُدعى مزاياها؟!

\*\*\*

لما فيها من العيب  
سننساها وننساها

في النفس

وللحسن الذي فيها سنحیی الآن ذكراها

\*\*\*

سأحصي لك ما يعجب منها، وهو كالشمس  
كما أحصيت ما يغضب بعد السعي والدس

\*\*\*

ثناياها، ثناياها وهل ذقت ثناياها؟  
وعيناها، ويا للقلـ ب، كم تسبيه عيناها؟!

\*\*\*

وتلك الوجنة الخمریـ ة السكران رائيها  
أفي الجنة يا رضوا ن تفاح يحاكيها؟!

\*\*\*

وتلك القامة الهيفا ء زانتها زواياها  
إذا ما جار ردفها أقام الجور نهذاها

\*\*\*

وتلك النسمة الحلو ة في ثوب الأناسي  
هي الروح الفراشيـ ة في النور السماوي!

\*\*\*

دعيها تفسد الخمسيـ ن إفساد ابن عشرينا  
وحاشا، بل هي الإكسيـ ر باسم الحب يحيينا

\*\*\*

وعندي من حُمياً<sup>٢٠</sup> الشعـ ر إكسيري وترياقی  
وهل كالشعر في الدنيا ربيع دائم باق!

## مزيج

ما الحب من محض الصدا  
الحب فيه الخصلتا  
أحلى الصداقة والعداء  
فيه العطاء والاعتصا  
قبة يا بني، ولا العداء  
ن، وفيه مزجها سواء  
وفاً يمزجان لمن يشاء  
ب، وقُلْ على الدنيا العفاء!

## مسابقة

أغنيتها عن خدعتي زمنًا  
فبلغت أقصى الظن ممتحنًا  
وخذعتُ نفسي في محبتها  
صبري، ولم ألحق بخطوتها

## لا تخلفي!

لا تخلفي وعدي فأكبر لذتي  
ويغض من إعزازه ودلاله  
في الحب إعزازي لصاحب عهده  
أني إذا وعد ازدريت بوعدده

## أخلفي

إن كان خلفك للوعود تدللاً  
ما كنت أتبعه القطيعة آنة  
بمكانك الغالي لديّ فأخلفي  
هو منك وا عجبني يطيل تشؤفي

## بنت البحر

أبنيّة البحر التي ضربت لنا  
إني مددت يدي لتلمس شاطئ  
بسكندرية موعداً لتلاق  
قدمك لا لتعجلي إغراق

## اكذبيني

اكذبيني مرة أو فاكذبيني مرتين  
ألف ألف من أعاجيبك في غش وميؤن  
لن تبديد الفارق الخا لك في غش وميؤن  
والسماوات التي بيدك في اللب وبيدي

\*\*\*

اكذبيني واكذبيني كلما شئت اكذبيني  
ما غناء اللب عندي إن أبى أن تخدعيني  
أنا في ثروة وفير منه مهما تسلبيني  
أنقصيها، أي ضير؟ درهما أو درهمين!  
تقويم هذا العام من لحظاته الأولى لديك  
قومي ارفعيه وارفعي عنه الغطاء براحتيك  
من يوم مطلعته إلى رجعه موقوف عليك

\*\*\*

وإذا انتهت أيامه ولكل عام منتهاه  
فعليك أنتِ وداعه وترحبين بما تلاه  
ويحي إذا دار المدى ورعيت وحدي ملتقاه!

\*\*\*

هي قُبلة ضمت عرى عامين فاتصلا اتصالا  
ومنى الخواطر في غدٍ عام كسابقه مالا  
لا نعجلن به فما أقسى الحياة على العجالي

\*\*\*

لا، لا، فهذا يومنا وغدٌ، وبعد غدٍ، خفاء  
أنا مغمض عيني ومسـ تمع إلى حادي الرجاء

فإِذَا سَمِعْتَ حِداةَه      فدعِيه يمضي حيث شاء

## وعام ثان

بشراي، ما أنا شاهد      يا عام وحدي ملتقاك  
دارت بروجك والهوى      يخطو وتتبعه خطاك  
وحمدت وجهك مقبلا      ومضى، فلم أذم قفاك

\* \* \*

هذي فتاتي هذه      هي لا خلاف ولا اشتباه  
هي في بديع قوامها      هي في الصبا، هي في حلاه  
هي في غوايتها وآ      هـ من غوايتها وآه

\* \* \*

ضمي تُغْيِرُكَ يا بنية      وابعثني منه الأمل  
لا بالعهود إلى مدى      عام، ولكن بالقُبل  
إن ساعفتني ليلة      فدعي العهود إلى أجل

\* \* \*

عام تفتِّح بالرجاء      ء وبالرجاء ختمته  
ودَّعت ذاك العام في      قربي كما استقبلته  
قولي، وقد ولى، أفي      شرع الوفاء قضيته؟

\* \* \*

لا تخذعيني يا بنية      بالفواء من اللسان  
خناً وخنت ولا أقو      ل: سلي فلانة أو فلان  
ذهبت خيانتنا معاً      والآن نحن الباقيان

\* \* \*

في النفس

ذهبت خيانتنا كما      ذهب الوفاء ومن يفون  
لا زمةً تبقى ولا      يبقى الوفي ولا الخئون  
كم زمة ضيعتها      يا عام في تلك الغضون!

\*\*\*

انظر ألسـت ترى فتا      تي حيث كنتُ ضممتها  
في جلسة الأمس التي      حتى الصباح جلستها  
فكأنها ما فارقت      صدري ولا فارقتها

\*\*\*

وإذا سألت وربما      جاء السؤال بلا كلام  
«ماذا تقول مودعي      والليل يومئٍ بالسلام»  
حيرتني يا عام فاسـ      تمع الجواب ولا ملام

\*\*\*

ما كنت عندي أيهـ      ذا العام كلك بالسعيد  
لكن سويـعات مضت      لي فيك تنسي ألف عيد  
غفرت ذنوبك كلها      وطغت على العام الجديد

\*\*\*

حسبي من الدنيا الذي      أعطت ودنيانا غرور  
حسبي قليل عطائها      وقليلها أبداً كثير  
إن عاد يوم غد كأـم      س فدرُ زمانُ كما تدور

وعام ثالث!

... والثالث الموصول أقـ      بل مرحبًا بالثالث  
رحبـت منه بمقبـل      إقبالٍ لإهـ عابـث  
ما كان يكرثنا<sup>٢١</sup> شقا      قًا لم يعد بالكارث

رضنا الغرام رياضة الـ فرس العصي فأذعنا  
لا جامحاً قلقاً ولا تعباً يئن من الونى<sup>٢٢</sup>  
أنعم بذلك مركباً بين العوائر لينا

\*\*\*

ما للغرام يسومنا بنعيمه وشقائه  
إننا لمغتنمو جهنـ مه اغتنام سمائه  
لسنا على يده يجو د لنا بمحض سخائه

\*\*\*

ما شب من نار طبخـ لنا فوقها حلوى الهوى  
أو صب من غيث غمسـ لنا فيه آلام الجوى  
أو زفّ من ريح وهبـ ناهها الشراع كما استوى

\*\*\*

أهلاً بعام ثالث يتلوه عام رابع  
بل خامس فيما عهد ت وسادس أو سابع  
ما ضاقت الدنيا وفي جنبك قلب واسع

\*\*\*

قلب تفتح بعد ما اسـ تعصى بباب واحد  
أو قُلْ تشقق بالجرأ ح فلم يضق بالوارد  
ما حيلة الأعوام في غير الزمان الفاسد

\*\*\*

يا قلب إنك قد أردت فأين ويحك ما تريد؟  
عام سعيد! إي وربـ بك ... قل إذن عام سعيد!  
هيك اعتزلت سروره أتراه ينقص أو يزيد؟

سنة مرت ولا كل السنين  
بين صيف من هوانا وشتاء  
وربيع كلما غام أضاء  
والضحى والليل حيناً بعد حين

\*\*\*

سنة كان لها نجم فريد  
غمر الشمس وغطى القمر  
ومشى في حسنه منتصرا  
كل برج تحته برج سعيد

\*\*\*

إن يكن لي في سناه رقباء  
فالذي أرصده لم يرصدوه  
والذي أنشده لم ينشدوه  
والذي هاموا به عندي هباء

\*\*\*

سنة مرت على روض الغرام  
أنبتت فيه فنون الشجر  
من رياحين وغرس مثمر  
وسل الأرواح ما أزكى الطعام!

\*\*\*

يومها الأول وافى ودنا  
فانس أيامك في ساعاته  
واجمع الصافي من لذاته



أعاصير مغرب

جرعة، واطرب عليها زمنا

\*\*\*

جرعة تجمع فيها سكر عام  
إن شربناها فقد تشربنا  
أو سكبنها فقد تسكبننا  
في الهوى روحين في كأس وئام

\*\*\*

هات لي الذكرى وقرب لي العيان  
فهما يا صاحبي بين يدي  
حضر الساعة يا صاح لدي  
ربة للذكرى وذكرها قران

\*\*\*

هات لي الذكرى أراها وتراني  
غضة ملموسة في راحتي  
حلوة معسولة في شفتي  
جنة تنبت في كل أوان

\*\*\*

جنتي لا حية تخرجني  
أبدأ منها ولا أحيأؤها  
لا ولا إبليس أو حواؤها  
أنا فيها خالد كالزمن

\*\*\*

أنا منها وهي مني في الضمير  
فإذا فارقتها بالنظر

في النفس

لم يفارقها ضميري عمري  
وله العصمة من مس السعير

\*\*\*

سنة كان لها نجم فريد  
هات منها أيها النجم وهات  
سنة ثانية بل سنوات  
ولنا منك مزيد المستزيد

\*\*\*

أنت يا نجم معيد ما تشاء  
لا السماوات ولا داراتها  
غنيةً عنك ولا أوقاتها  
أنت ميقات وشمس وسماء

\*\*\*

أنت تدنيها سماء زلفاً<sup>٢٢</sup>  
تنسج الوقت لنا منفردين  
لا مشاعاً كنسيج النيرين  
بل لنا طوع يدينا وكفى

## المرأة والخداع

حب الخداع طبيعة فيها	خلّ الملام فليس يثنيها،
ورياضة للنفس تحيها	هو سترها، وطلاء زينتها،
من يصطفها أو يعاديها	وسلاحها فيما تكيد به
من طول ذل بات يشفيها	وهو انتقام الضعف ينقذها
ما لم يرده قضاء باريها	أنت المعلوم إذا أردت لها

خنها! ولا تُخلص لها أبدًا      تخلص إلى أعلى غواليها

## رواية

ما غرني إقناعها      كلا ولا إمتاعها  
ماذا تخبئ طفلة      رَقَّتْ وَرَقَّ قناعها  
بل غرني علم الطب      ع، وللنفوس طباعها  
أوليس علمًا بالحيا      ة يهون فيه صراعها  
إني أشاهد كيف يف      طم في القلوب رضاعها  
أو كيف يسري في النفو      س الواعيات خداعها  
أو كيف ينهض بعد طو      ل سباته دَفَّاعها<sup>٢٤</sup>  
أو كيف يومض بعدما      خَفَّت السراج شعاعها  
دعني فتلك رواية      شاققت وشاق سماعها  
ألومي الوجيز رقاعها      إن قيل: أين رقاعها؟  
وأنا العليم، وقد علم      ت متى يكون وداعها

## لغيرك!

لغيرك غفران تلك الخطايا      وعض الجفون وستر الخفايا  
لغيرك، لا لك، صبري على      مساوئ يُحسبَنَ عندي مزايا  
لمن أرسلتك، ومن جملت      ك ومن حبُّها كامنٌ في حشايا  
ألست رسولَ الحياة الأميـ      ن بأسنى الهبات وأعلى الهدايا  
فهاتي الرسالة واستغنمي      ثنائِي، ولا تعجبي من هوايا  
إذا الرسل أفضت بما عندها      فما حيلتي في اختلاف الوصايا  
سواء لدينا بريد الوجو      ه، إذا حسنت، أو بريد الطوايا

## ما استفدت؟

برئت من غش نفسي      ولا أقول: انتبهتُ  
قد كنت ساهر عين      مستيقظاً ما غفوتُ  
برئت من غش نفسي      وليتني ما برئت  
ما العمر محض نهار!      في العمر للغمض وقت

\* \* \*

ها أنت يا عين يقظى      وها أنا قد نظرت  
ماذا استفدت لعمرى      وما عساني استفدت؟!

## تربصي

إذا احتواكِ قفصي  
سرى الفتور في جنا      حيك وإن لم تنقصي  
وغرد الطير وضا      عت في الغناء فرصي  
وخفت في سجنك ألا ترقصي

وإن ملكتِ الأفقا  
حيرني رحب الفضاء      مهبطاً ومرتقى  
وأوشك الصدر لفرط      الضيق ألا يخفقا  
وطار في إثرك لبي قلعا

\* \* \*

تربصي، تربصي!  
ما حيلتي؟ ما مهربي؟ ما مخلصي؟  
الموت قناص الأبايل وحلال العصي  
يقنصني ويحك إن لم تقنصي

## فهمان

لما نفست بما أغا  
لم تفهمي مني سوى  
وفهمت من نزغات طب  
أن النفائس كلما  
فرخست من فرط الغلؤ  
وخسرت فيك خسارتيـ  
لي في هواك وأطنب  
أن النفائس تُطَلَّب  
عك، والطبائع تغلب  
عزَّت، تراء، فتُوهب!  
وخبِتُ فيما أحسب  
ن، وختل أني أكسب

## كيف

تحفة من بدائع الله تحمي  
كيف لي بادخاره في يديها؟  
كنزها كف طفلة لا تقرر  
كيف لي باحتقاره وهو نخر

## مصيبتان

قالوا: اسلها ودع البكاء فإنها  
ومصيبتي فيها اثنتان؛ لأنني  
من كان يبكي الأوفياء، ففي الأسي  
في حبها ليست بذات وفاء  
أبكي لمن لا يستحق بكائي  
لمن استحق أساه بعضُ عزاء

## ندم!

عشقتك مُكذِّبًا خلقي ورأيي  
وما أخطأت في لومك يومًا  
وعفتك صادقًا لهما أمينًا  
وقد أخطأت في عذريك حينًا

## حلم الأبد

أهواك جسمًا علا وانفرد      وفتنة حسنك هذا الجسد  
وما فيه كم نزوة لا تحد؟  
بُنيَّة كوني كما خلقتِ      فأنت كما شاءك الله أنت  
وما شئتُه أنا حلم الأبد

## عيوبك

عيوبك لم أحفل بها قبل فتنتي      وهيهات يثني العيبُ نظرة مفتون  
فيا بؤس للعشاق لا علمهم حمى      ولا جهلهم إذ يجهلون بمأمون

## مساومة

ما حيلتي إن جهلت حسنها      فسلمت بالبخس للمشتري  
لو كنت في جهلها بعثها      ببعض ما هان على المزدري  
إني على أغلالها في الهوى      أربح في الصفقة من منكري  
ليس الذي يقدر ما ناله      كمن إذا أعطي لم يقدر

## الذات والويلات

غداً تنسين لذاتٌ      بلا عد وِلذات  
ولا تنسين ويلاتي      ولا زجري وإعناتي  
فما في تيك من حبي      لك بعض الحب في هاتي  
وهيهات الهوى الطاغي      من العابث هيهات

## عجائب القلب

تلك التي كنت أغليها وأذكرها      صبحًا ومُسَيًّا وفي سر وإعلان  
قد كنت أرحم نفسي من تذكُّرها      فاليوم أرحمها من فرط نسياني  
عجائب القلب، ويلي من عجائبه!      عزت نظائرها في العالم الفاني

## عدنا والتقينا

التقينا والتقينا!

عجبًا كيف صحونا ذات يوم فالتقينا  
بعد ما فرَّق قُطْرانٍ وجيشانٍ يدينا  
فتصافحنا بجسمينا وعدنا فالتقينا<sup>٢٥</sup>

\*\*\*

بعد عصر! أي عصر؟

والنوى تجري وسر الحب في الأكوان يجري  
ثم نادانا تعالوا فاهبطوها أرض مصر  
قضي الأمر كما شاء، وعدنا فالتقينا

\*\*\*

كم بكيَتِ واشتكيَتِ

ثم ألهمت على الغيب فأصغينا وقلتِ  
قلتِ في السابع والعاشر من شهر سيأتي  
هاهنا سوف تراني، فرأينا والتقينا

\*\*\*

في النفس

يوم ذكرى ذاك أحـرى

بالتقاءِ كلما دار به الحول وأسرى  
في سماء تعبر الشعرى وتدني كل شعرى  
كيف يلقانا وحيدين غُدُّ فيه التقينا

\*\*\*

قبل عام ثم عام

كان يوم، أي يوم، في صفاء وابتسام  
يوم لاقى الحب لحظينا على عهد الدوام  
فتعاهدنا وقلنا: كلما عاد التقينا

\*\*\*

وتداني وكلانا

زائغ الطرف يناجي الأفق قلبًا ولسانًا  
ثم ماذا؟ ثم كن يا بعد لي قريبًا، فكانا  
واستعان الحب بالداء حليفًا فالتقينا

\*\*\*

كم غرام وسقـام

عرفا الحلف على غير سلام ووئام  
فإذا ما اجتمعا فانتزعاني من مقامي  
فبحسبي منهما أنا شكونا فالتقينا

\*\*\*



## يا فتاتي يا حياتي

لا تراعي بعد هذا من فراق أو فوات  
قدر الله كفيل لك في ماضٍ وآت  
كلما فرق شملينا دعانا فالتقينا

### نذر مقبول

أرأيت حين نذرتِ ودعا «النوى» فدعوت؟  
من ذا الذي لباك؟ من ذا أجاب مناك؟  
قديسة عطفت على الـ مكنون من نجواك  
ووعدها فوفيت

\*\*\*

قديسة سمعت لنا وسعت لتجمع بيننا  
من ذا يلوم هواك من ذا إذن يلحاك  
والعذر عذر صبابتي والحق حق صباحك  
كذبوا إذن وصدقت

\*\*\*

بالشمع كم أغريتها أترك أنت خدعتها؟  
كلا وما أقواك في خدعة وشباك  
فالنور لب غذائها والنور صفو رضاك  
شغفت به وشغفت

يا حزين النفس أعطيت مناها      فاغنم الفرصة حتى منتهاها  
لا تنغصها اختبارًا واكتناها      إن من خاف من الجن يراها

\*\*\*

النوى آتية لا شك يومًا      وهي من حولكما لم تأل حومًا  
همها ألا يدوم الصفو دومًا      فعلى رسلك لا تعجل خطاها

\*\*\*

لا تقل: يا وردتي شوكت أينا      ما علينا منه فيها ما علينا؟  
إنها أخفته عنا فانتهينا      حسبنا الوردة رفّت في نداها

\*\*\*

ليس شك، أن للوردة شوكا      وإذا أدنيت كفاً منه شكًا  
فاحبك القفاز في كفيك حبكا      واخلس الوردة واستغرق شذاها

\*\*\*

أنت في الجنة ألقيت يقينا      فدع الشك أو استمهله حينًا  
إنه الشيطان قد أخفى القرونا      إنه الحية فاحذر من أذاها

\*\*\*

لا تسلها يوم تأتي أين كنت؟      فبحسب العين أن الحسن يأتي  
ذاك وقت فيه يفنى كل وقت      ساعة دقت، وغابت عقرباها

\*\*\*

ساعة دقت فأدت ما عليها      فعرفت الوقت لم تنظر إليها  
ما الذي تطلبه من عقربها      إن تغيبا خلف ستر قد حماها؟

\*\*\*

قلت: أنساها بأخرى حين تغرى      أترى أخراك لا تطلب أخرى؟  
من يقول الجمر قد يطفئ جمرًا      اللظى من غيرها مثل لظاها!

\* \* \*

إنها منك دنت فلتدن منها      وإذا خانتك من بعد فخنها  
أو فجرب هل تطيق الصبر عنها؟      لا، وشمس الحسن فيها، وضاحها

\* \* \*

غصتَ في اللجة حتى أذنيكا      وحزام العوم لم يُلقِ إليكا  
رحمة الحسن إذن تترى عليكَا      رحمة إن شاءها الحسن قضاها

\* \* \*

وإذا شاء فلا رحمة تقضى      ودعا بعضك نحو القاع بعضا  
تبتغي من تحت هذي الأرض أرضا      لا، فدنيا الحب لا دنيا سواها

### إلى الأستاذ عماد

يا صديق النفس من عهد صباها      نصحك الصادق لو تشفى، شفاها  
محنةٌ تبلغ في يوم مداها      ما تراني صانعًا، أو ما تراها؟

\* \* \*

ناصرني أنت بزهرى أنتشيه      لا أبالي الشوك والغصة فيه  
كل شوك يا صديقي أتقيه      يخرق الدرع وإن دقت عراها

\* \* \*

وردتي يا صاحبي في الورد بدع!      بدعها طبع، وكل الورد طبع  
طبعها كالفخ ينهاك ويدعو      وبلاء النفس في مس جناها

\* \* \*

في النفس

إن تقل: فز بالجنى قلت: رويدًا      الجنى الكيد، فهل نأمن كيدا؟  
الجنى القيد، فهل نحمد قيّدًا؟      الجنى، يا ويحها، أشهى أذاها!

\* \* \*

وردتي أفتها فرط التحدي      جاوزت في كل شيء كل حد  
حسنها هيهات منه حسن ورد      شوكتها أنفذ من شوك واهها

\* \* \*

أتراني نافعي والقلب دام      وسعار الجرح يمشي في عظامي  
لذة العين بوشي ونظام      وامتلأ الأنف من عطر شذاها

\* \* \*

آه من برئي وآه من سقامي      آه من صلحي، وآه من خصامي  
آه من شمسي، وآه من ظلامي      آه من لذعة آه في جواها

\* \* \*

لذعة النيران ينفثن دخانا      ليضيء اللهب الخافي عيانا  
لهبًا صرفًا تعالي وتداني      من قرار النفس يرتاد ذراها

\* \* \*

آه من آه لحاها الله جدًا      لا تزال خالدة في النار خلدًا  
من قلوب تلتظي حبًا وحقداً      حرقت آهاتها آهًا فأها

\* \* \*

أنا لا أطلقها حتى تذوبا      في لظاها، كلما شبت شبوبا  
وأراني يا صديقي لن أتوبا      فإذا تابت عرفنا منتهاها

## طلاء النفس

زرقة عينيك لا صفاءً فيها، ولكنه فضاء!  
حمرة خديك لا حياءً فيها، ولكنه اشتهاً!  
قوامك الرمح لا اعتدال فيه، ولكنه اعتداءً!  
يا حيرة القلب في هواه! يا غاية العمر في مناه  
وجهك سبحان من جللاه لوث النفس بالطلاء!

\* \* \*

حبك لا نعمة أراها فيه، ولكنه جزاء  
من في الصبا جرتُ في هواها! من تلك مقبولة الدعاء؟  
أنت عقابي فهل كفاهما برح شقائي أو لا اكتفاء؟!  
يا جنة حسنها عقاب يا خمرة عذبها عذاب  
متى متى ينطوي الكتاب؟ متى فراقُ بلا لقاء!

## بنيته

بنيته، والعزم صخري المتين ومعولي حد العذاب السنين  
اسمع، ألا تسمع هذا الرنين هذا فتات القلب، هذا أنين  
في كل ركن قطعة من وتين<sup>٢٧</sup>

\* \* \*

بنيته في حفرة من شقاء والدم والدمع عليه طلاء  
هناك، ففي زاوية في الخفاء تم بحمد الله، تم البناء!  
ماذا بقي؟ لم يبق إلا الدفين!

\* \* \*

بنيته، يا حسنه! يا سناه! بنيته، قبر الهوى في صباه  
قبر الهوى الغالي ووا حسرتاه! قبر الهوى الزاهب في منتهاه

في النفس

هل بعد «خمسین» هوی یا حزین؟

\*\*\*

هاتوا الدفين الغض، هاتوا الأمل      هاتوه أدمي جسمه بالقبل  
أدميه؟ لا، لا دم بعد الأجل      جف وما جفت عليه المقل  
هاتوه أحييه بذكرى السنين

\*\*\*

دفنته، ويحك! هل تستريح؟      يا خارب القلب عمرت الضريح!  
ذاك الثرى المنهال، ذاك الصفيح      يا ليته ركن الحراب الفسيح  
أو لیتك الساعة فيه الدفين

\*\*\*

آه من الحيرة آه وآه      أنافع قلبي، رجعي هواه؟  
ولا خلا القبر، أهذا مناه؟      لو أقفر الساعة مما حواه  
خلت من الحيرة أني الغبين

**هنت والله**

هَوَّنتِ خطبك جدًّا      وخلته لن يهونا  
حمدًا لكيدك حمدًا      حمدًا يفيض العيونا  
بدلت بالنار بردًا      وبالهيام سكونا  
إني أمنت الفتونا  
وأنت ماذا أمنت؟  
قد هنت والله هنت

\*\*\*

كم دار في الكون رأسي      حيران يطوي بقاعه  
شكي يسائل حدسي      أين اختفت منذ ساعة؟

سفینتی الیوم ترسی والربک یتوی شرآه  
غیبی بغير شفآة  
مآ أنت ویحک أنت؟  
قد هنت واللہ هنت

\*\*\*

لو قیل: «بنت الهوء» صدقتهم فی المقآل  
ورثنه فی السخآء وفی شیوخ النوال  
لو کآن فیک بقآئی لم تخطری لی ببآل  
من بالهوء یبآلی  
کونی إذن حیث کنت  
قد هنت واللہ هنت

\*\*\*

خذي عشیقین مثلی لآ بل خذي النآس طرآ  
یلقآک هذآ بلیل وذاک یلقآک ظهراً  
إن تخدعی رب نبیل یخدعک نذلآن مکراً  
وتشربی الجآم مرآ  
حتی یقآل: جننت  
قد هنت واللہ هنت

\*\*\*

یآ فرحة القلب لآ رخصت بعد غلآء  
خسری بذلک تماً وتمم منک نجآئی  
ولو حسبتک غنمآ لطآل فیک شقآئی  
وغص قلبی بدآئی  
لکن رحمت فحنت  
وهنت واللہ هنت

## فراغ فراغ

فراغ بارد شاتِ      بلا ماضٍ ولا آتِ  
أموات؟ نعم لكن      نحس فناء أموات  
ويا بؤس الفناء نحسُ      سُه في كل ميقات

## هوامش

- (١) أخاف.
- (٢) الكوثر: نهر في الجنة.
- (٣) تنسم تلتف في طلب الخير أو الرائحة.
- (٤) رائحتها.
- (٥) رأس العظم.
- (٦) الخيم: الطبيعة.
- (٧) عطفًا.
- (٨) قدماء اليونان يصورون الحب طفلًا يحمل كنانة يرمي بأسهمها من يلقاه.
- (٩) القلم.
- (١٠) النذير بالغارات.
- (١١) يفارق.
- (١٢) حين يبرح ويسافر.
- (١٣) ترجمة حديثة لكلمة التليفون.
- (١٤) ناشه: تناوله وأخذ به، والنواجذ: أقصى الأضراس.
- (١٥) المشنوء: المستقبح.
- (١٦) صفق الشراب: حوله من إناء إلى إناء.
- (١٧) اللأي: البطء.
- (١٨) نذير الغارات.
- (١٩) أيار وكانون: شهران يقابلان أوائل الربيع وأوائل الشتاء.
- (٢٠) الحميا: صورة الخمر.
- (٢١) يهمنا ويشغل بالنا.



(٢٢) الفتور.

(٢٣) الزلف: التقدم والتقرب.

(٢٤) الدفاع: قوة الموج وكل مدفوع.

(٢٥) كان صاحب الديوان قد سافر إلى السودان على أثر هجوم الألمان والطيّان

على حدود مصر الغربية في شهر يونيو سنة ١٩٤٢، ثم عاد بعد أسابيع لعلاج يديه من حرارة أصابتهما، فاتفق وصوله قبل يوم الذكرى المشار إليه في القصيدة.

(٢٦) هو صديقنا الشاعر المجيد الأستاذ محمود عماد.

(٢٧) عرق في القلب.

## في مصر

### غيث الصحراء

ألقيت هذه القصيدة بين يدي صاحب الجلالة الملك «فاروق الأول» في رحلته إلى الصحراء الغربية (١٩٣٨)، وكان صاحب الديوان يمثل دائرة الصحراء بمجلس النواب.

يا حادي البشري دنا السفر  
فاروق في البيداء يصحبها  
نادِ القبائل حيثما انتشروا  
رفع الخيام على انسحاب فلا  
تيهوا بني البيداء وافتخروا  
أسسُ تطاولها ولا جدر

\* \* \*

في طالع الأيام مرتقب  
كالغيث لولا سبق أنعمه  
ولسابع الأنعام مدخر  
كالنيل لولا أن موسمه  
والغيث يلحق بعده الثمر  
صلح الزمان لكم بمقدمه  
في كل يوم حاضر نضر  
فاستبشروا بالخصب أجمعه  
وازدادات الآصال<sup>١</sup> والبكر  
لا جذب حيث النيل والمطر

\* \* \*

أحببتموه على السماع كما  
وتشوّف الوادي لرؤيته  
شاء الولاء، وشاعت السير  
وتساءل الركبان، وانتظروا  
وتجاوبت فيكم مدائح  
نظماً رواه البدو والحضر

والعرب أصدق ما سمعت إذا غنوا على البيداء أو شعروا  
فالآن فاكتحلوا بطلعته وتيمينوا باليمن وابتدروا  
ملك تعالى الله بارئه سيان فيه السمع والبصر  
لم يختلف قول ولا عمل منه، ولا خُبر ولا خبر

\*\*\*

ملك تعالى الله بارئه بالخير يأمرنا ويأتمر  
مستعصم بالله معتزم مستمسك بالحق مقتدر  
سبق الشباب به مراحلنا وأعانه الإلهام والنظر  
وتفياآت بلوائه عُصب وتألقت بفنائنه زُمر  
نعم الإمامة للشباب فلا يأس ولا نكس ولا حذر  
جيلٌ لزين الجيل أسلمه رب الكنانة، فهو منتصر  
العزم والشورى إذا اجتمعا فهما قضاء الله والقدر

\*\*\*

يا مؤمناً بالله مهتدياً بك مسجد «العوأم» مشتهر  
يا نسج وحدك في مآثره بيدك زين القطن والوبر  
يا جاعل الملح الأجاج روى<sup>٢</sup> بيديك طاب الملح والصبر  
يا شافي المرضى وكافلهم عيسى على كفيك مستتر  
يا حصن مصر ويا دعامتها أقوى الدفاع مِراسك العسر  
يا شاهد التاريخ في أثر العين أنت، وما مضى أثر  
ما كان منسياً فشهرته بك بعد هذا اليوم تنتشر

\*\*\*

إني إلى الصحراء ملتفت وعلى فم الصحراء منتظر  
أصغي فأسمع في جوانبها هزجاً يشيع بها، وينحصر  
آلاء فاروق يرددها نفر، وينصت حولها نفر  
تنمو وتزهو حيث لا شجر ينمو، وحيث نما بها الشجر

يهفو النزيل لها وينشدها  
قوم سماء الله فوقهم  
إن يذكروا بالحمد راعيهم  
هم في صراحة أرضهم نشأوا  
بلغاء ما عرفوا السطور على  
حرماتهم الأيام فاصطبروا  
فاروق قبلتهم إذا رحلوا  
يا مُلبسًا أجسادهم حُللاً  
سارون فوق جمالهم سهروا  
وملوكهم لسمائهم صور  
فهم الرعاة، وهكذا فُطروا  
وعلى هدى لألائها ظهروا  
غير الرمال، وعاش ما سطورا  
ومتى أصابوا نعمة شكروا  
وإليه موئلهم إذا حضروا  
شَرَفَت أنفسهم بما ادثروا

\* \* \*

الملك والآفاق والقمر  
أمدٌ تفوت العينَ غايته  
هي رحلة طالت مفاخرها  
لو فُرِّقَت في الدهر لاتسعت  
في ساحة الفاروق يملأها  
تنقاد طائرة وسابحة  
والبحر والبيداء والذكر  
وتموج في أنحائه الفكر  
ويعد في أيامها قصر  
لشعابها الأحقاب والعُصُر  
نخر الحياة، ويُحجم الخطر  
ويطيب منها الورد والصدر<sup>٣</sup>

## تمثال سعد

نظمت تحية لتمثالي زعيم مصر الكبير سعد زغلول عند رفع الستار عنهما في القاهرة  
والأسكندرية (٥ أغسطس سنة ١٩٨٣).

الروح في وادي الكنانة حائم  
ما غاب منك سوى مثال عارض  
ملكُ البلاد المستقل وشعبها  
أملٌ لعمرك لم تطاوله المنى  
تُزهى به مصر ويزهى الشرق من  
وجلال شخصك في النواظر قائم  
يمضي، ويخلفه المثل الدائم  
فى محفليك مساهم ومساهم  
شرفاً، وحلم ما رآه الحالم  
كثب، ويعجب من صداه العالم

\* \* \*

فاروق مولده ومولد نهضة  
 فإذا أظلك عرشه وجلاله  
 شيم من الخطاب جمّع شملها  
 من غير فاروق يصور أمة  
 من غير فاروق يبارك نهضة  
 من غير فاروق يقلد رتبة  
 من غير فاروق يجل رعية  
 من غير فاروق تنص يمينه  
 حياك أو أحيا رجاءك عاهل  
 ملك كما ترجو لمصر مصدق  
 غمر البلاد بحبه وولائه  
 ركنان للوطنية المثلى هما  
 فاهناً بما بلّغت من حبيهما

تنمي إليك، كلامها متلازم  
 فالعدل قسمته، ونعم القاسم  
 العادل الفطن الكريم الحازم  
 أنت الزعيم لها، وأنت الخادم  
 منه الرجاء لها، ومنه العاصم  
 والصولجان بكفه والخاتم  
 حويله سابق مجدها والقادم  
 علمًا للاستقلال فيه علائم  
 عهد البلاد به جديد باسم  
 بشراك، مرتسم لما هو راسم  
 فولأوه فرض عليها لازم  
 عرش، وشعب حوله يتزاحم  
 واغنم ولاءهما فأنت الغانم

\* \* \*

تمثال سعد في الجزيرة ساهراً  
 النيل حولك لا يغيب هنيهة  
 شأن لربك في الحياة حكيته  
 كم صام سعد عن مناهل حوضه  
 كم بات يرعاه، وليس بمرتع  
 كم غاب عنه ولم يغب عن همه  
 بك زادت الأهرام ركنًا والتقت  
 تلك الصروح على اختلاف بنائها  
 نهضت على استقلال مصر دلائلاً  
 اليوم أن لجانبى تاريخها  
 في الضفة الأخرى بقية عسكر

هيهات يغفل منك لحظ صارم  
 عن ناظريك، وأنت عنه صائم  
 فالظل للغصن الوريث موائم  
 ويعب مغتصب وينهل غاشم  
 من خيره ما يرتعيه الحاكم  
 والبحر دون طريقه متلاطم  
 منها على بعد الزمان دعائم  
 في الجيزة الفيحاء هن توائم  
 يعى بنقض بنائهن الهادم  
 ألا يظللها دخيل داهم  
 قاومتهم جهد المطيق وقاوموا

مصر تضيق، على اتساع رحابها  
 لم تستقر على دعامك آخرًا  
 والنصر رذك للعدو مواليًا  
 سعد على النيل الوفي ومثله  
 ما أعجب الصُّنوين للفرد الذي  
 أمجاورَ الميناء إنك لم تزل  
 متمكنًا من حيث يقبل قادم  
 نعم اختيار الموقفين لحارس  
 بكما فأيكما المقيم القائم؟  
 إلا لأنك بانتصارك جازم  
 لا أنت راغمه ولا هم راغم  
 سعد على البحر القوي متاخم  
 أعيب بصنويّه المدى المتقادم  
 ميناء مصر، والخطوب خضارم  
 كرمت وفادته، ويمنع فاحم  
 وطنًا يحارب دونه ويسالم

\*\*\*

يا سعد هلأ من لسانك قولة  
 يملك تومئ بالكلام فأين من  
 عجبي لشيء فيه منك ملامح  
 عجبي لشيء فيه منك ملامح  
 أخذ الحديد الصلب منه عزيمة  
 وتشابهت ثمَّ الأسارير التي  
 وتحجبت تلك الأفانين التي  
 إن لم تصورها اليدان فربما  
 إن لا تحدثنا فكل محدث  
 أو لا يكن لفظ فدون الوحي من  
 الناس حولك سامع أو ذاكر  
 قف فوق منبرك الجديد فلم يزل  
 يصغي إليه العابرون فيقتدي  
 هذا المثال الحي إما حامد  
 هذا المثال الحي إما شاحذ  
 هذا المثال مؤيد من ثابروا  
 خصم لكل مخالف آراءه  
 جدد لهاتيك الرءوس حياتها،  
 يروى بها هذا الزحام الهائم؟  
 إيمائها الصوت القوي الناغم؟  
 أن ليس يُسمع منه قول حاسم!  
 أن ليس يخفق فيه قلب عالم!  
 والصخر بأسا يتقيه الصادم  
 قد شابهتك بمثلهن ضياغم  
 ضاق الصنّاع بها وعيَّ الراسم  
 خفيت فصورها الضمير الراقم  
 من فيض روحك ناثر أو ناظم  
 معنك كل اللافظين أعاجم  
 ما كنت توشك أن تقول وفاهم  
 لك منبر عالي الذرى وقوائم  
 داع إلى الحسنى ويخجل آثم  
 للعاملين غدًا وإما لائم  
 منا عزائمنا، وإما راحم  
 مزر بمن قصرُوا الخطى وتناوموا  
 وفعاله، وهو القوي الخاصم  
 بعض الرءوس وإن حيين جماجم

ما كان تمثالاً يماط ستاره  
بل تلك جامعة يؤم دروسها  
تلك الرياح مجاذبات غطائه  
فاروق أو مُزجي الرياح كلاهما  
والغيب يلهمه المليك إذا اتقى  
ويفض من فحواه ما هو كاتم  
بل منسكاً للحج فيه محارم  
متعلم سنن الحياة وعالم  
رسل من العرش العلي حوائم  
للغيب، من خلف الحجاب، تراجم  
ويفض من فحواه ما هو كاتم

\* \* \*

يا أسبق الأعلام ربك سابق  
ما قام للفلاح قبل مثاله  
صعدوا على أكتافه وتسنموا  
فاليوم يبتدئ الزمان بخلقه  
شرقاً، أبا الفلاح ما استفتحت من  
لك لا تزال ولن تزال رسالة  
في حيثما استبقت بمصر عظام  
علم، ولا دعيت إليه معالم  
أوج المنابر وهو جاث جاثم  
حتى كأنك أنت فيهم آدم  
همم، وما استتلى بعزمك عازم  
ما للعظام إن بدان خواتم

### ثناء على ماهر

ثناء الكرام على ماهر  
على رجل زاهد في الثنا  
على من يسير بأعماله  
وَمَنْ كُلُّ أيامه صالحا  
فلا حيرة فيه للمختفي  
تجني مدائحه الصادقا  
فسيان إحصاء أعماله  
ثناءً على الرجل القادر  
ء إلا من الأثر العاطر  
فيقبل في جحفل زاخر  
ت لحفل بتكريمه عامر  
ولا حيرة فيه للشاعر  
ت عفو البديهة والخاطر  
ونظم المقرظ والشاكر

\* \* \*

بياناته مثل أرقامه  
وأراؤه في ثنايا غد  
وباطنه في مواعيده  
حقائق للحاسب الحاصر  
كرؤية عينيه للحاضر  
كصفحة عنوانه الظاهر

في مصر

له شدة الحق في بأسه  
وإنصافه مأمّن للعدي  
وإقدامه في قضاء الفرو  
إذا ما اطمأن إلى واجب  
تمازجها رقة الساخر  
وإخلاصه عصمة الناصر  
ض إقدام مستبسل صابر  
فليس بوانٍ ولا قاصر

\* \* \*

أولي الأمر طوبى لكم يومكم  
فسيروا بأوطانكم وانهجوا  
وهاتوا مدى جهدكم تبلغوا  
لكم من بنيه ومن عرشه  
وطوبى لكم ذكوة الناكر  
بها نهج مبتكر باكر  
مدى الحمد من وطن قادر  
معاونة العارف العاذر

## عيد الجهاد

حُيِّتَ يا عيد الجهاد  
يا يوم مصر وما لها  
عزلاء إلا من سلا  
بهما تصد الظافريـ  
وتقود أشتات الصعا  
وتعانَد الأسد الهصو  
تلقاه يوم تزلزلت  
والأرض بين يديه طيـ  
حُيِّتَ يا يوم المعاد  
من ناصرين، ولا عتاد  
حَيِّها: الرجاء والاتحاد  
ن ولا تُصد ولا تصاد  
ب ولا يلين لها قياد  
ر ولا يطاق له عناد  
من بأسه السبع الشداد  
سِعة الأَعْنَةِ والوهاد

\* \* \*

حُيِّتَ يا يوم الجها  
كلا، ولا من قائل:  
جمعت بلاداً أمرها  
وأراد سعدٌ فانبرى  
ما السيف في اليد غالباً  
د ولا سؤال بم الجهاد؟  
أين الجحافل والجياد؟  
وكفى بما جمعت بلاد  
وطن يحقق ما أراد  
إلا إذا غلب الفؤاد



\* \* \*

حُيِّتَ يا يوم الجهاد      يوم الجهود والاجتهاد  
يوم الكرامة والجلال      د بل، السلامة والساد  
كم عاقل في الاقتحاح      م وجاهل في الارتداد  
ومحصّل فيما أضاح      ع، مُضيع فيما استفاد

\* \* \*

وطني سلمت من الغوا      ة ولا سلمت من الرشاد  
ما في الجهاد غواية      إن الغواية في الرقاد  
وطني خذلت الخادعيـ      ن ولا خذلت ذوي اعتقاد  
ما في الصعاب خديعة      إن الخديعة في المهاد  
وطني تبينت المصا      رح والمداجي في الوداد  
ما في اللهب خبيثة      إن الخبيثة في الرماد  
وطني فررت من الهوا      ن ولا فررت من الجلا  
ما كل خطب يُتقى      أو كل أمن يستزاد  
وطني، وما وطني عليّ      بهين بين البلاد  
يا ليته مما يهو      ن فأستريح «على الحيا»!

\* \* \*

حاشا لمصر ولي وللـ      سادات فيها والسواد  
إنني نذرت لها دمي      ومُنَى يضمن بها الجواد  
وشرعت في ميدانها      قلمي وإن نفذ المداد  
وعلمت أن لها غدًا      يرجى، وأمس يستعاد

\* \* \*

شبان مصر تزودوا      لغد، وبعد غد، بزاد  
أنتم حماة عرينها      ولكم معاقلها تشاد

إن زاد غيركم العدا      فردًا فلا كان الزيادة  
أو سدتم في أمة      نلت ففرحتها حداد  
من ذا يسود وحوله      وطن على ضيم يساد  
لا يخجلن غد إذا      ما حل من عيد الجهاد

## إلى مهرجان السودان

يا جيرة المورد في الوادي      كونوا هناك مورد الصادي  
صاِدِ إلى الماءِ وصاِدِ إلى      علم لمن يطلبه هاد  
هاد كما قد أفرت شمسكم      بساطع في الجو وَقَاد  
لولا معاذيري لحياكم      مني مطيفٌ رائح غاد  
فإن أكن أوفدت شعري لكم      فذاك عندي خير إيفاد  
إلى اللقاء المرتجى في غد      تحيتي للحفل والنادي<sup>٦</sup>

## هوامش

- (١) جمع أصيل وهو قبيل وقت الغروب.
- (٢) الروى هو الماء الغزير المروي، ومن المنشآت التي افتتحها صاحب الجلالة في مرسى مطروح منشأة تصفي ماء البحر من الملح فيصلح للشرب، والبيت يشير إلى هذه المنشأة كما تشير الأبيات الأخرى إلى المعامل والمساجد، ومعامل النسيج التي افتتحها جلالتة في هذه الرحلة والآثار التي زارها.
- (٣) بعض هذه الرحلة تم بالطيارة، وبعضها بالسكة الحديد والباخرة.
- (٤) قبل رفع الستار بأيام جذبته الريح فأنكشف فتفاءل بذلك الذين أشفقوا من تأخير الاحتفال برفع الستار.
- (٥) من قصيدة في تكريم الدكتور أحمد ماهر باشا (يوليو ١٩٣٩).
- (٦) هذه الأبيات هي تحية صاحب الديوان إلى مهرجان الأدب الذي يقيمه أدياء السودان مرة في كل عام.



## في عالم الذكرى

ثلاث عشرة حجة<sup>١</sup>

مرت بنا الأيام وثبًا  
لا أحسنت حربًا، ولا  
ضمنت لجيشيها معًا  
فإذا الحوادث أقبلت  
العام من أعوامنا  
وثلاث عشرة حجة  
سلها عن الدنيا وما  
سلها عن الوادي وما  
لا ضير بالماضي إذا  
سلمًا كما شاءت وحربًا  
في السلم طاب السلم غبًا  
غصبًا كما اشتها وغلبًا  
أو أدبرت فالخلق نهبي  
يحوي — جزاه الله — حقبا  
قلبت طباق الأرض قلبا  
صنعت به شرقًا وغربا  
صنعت به دفعًا وجذبا  
دار الزمان فطاب عقبي

\* \* \*

فألاً من الذكرى وكم  
وهداية منها وقد  
فأل طوى في الغيب حجبًا  
تهديك في الظلماء قطبا<sup>٢</sup>

\* \* \*

يا سعد يومك فاستجب  
جرد عزيمتك التي  
وابعث نصيحتك التي  
قلبًا لمن يدعوك قلبا  
أغنت عن الصمصام غربا<sup>٣</sup>  
أغنت عن الترياق طبا

وانشر فرائدك التي  
 هذا نذير الشر هيا  
 وسرت إلى إفريقييا  
 طمعوا بحوزة أمة  
 إن قيل: لا خطر غفت  
 أو قيل: لا طمع فلا  
 أو قيل: يا أمم انهضي  
 تجري المخاوف حولها  
 يا سعد أنت إمامها  
 صدع الشقاق صفوفها  
 فاجمع جوانب رأيها  
 قل أنتمو أعلى يدًا  
 ذلوا فلما استرسلوا  
 وإذا أتوا عدد الحصى  
 جذب من الصحراء أغـ  
 ظمآن يشرب كل من  
 أغنت عن العقيان كسبا  
 وإلى حمى مصر اشرباً  
 عدوى الجهالة من أورباً  
 ظنوا لها الغفلات دأباً  
 عيناً وناهت عنه لباً  
 طمع وقرت مصر سرباً  
 نهضت وراحت مصر تأبى  
 وتخاله الأمن استتباً  
 فاهتف بها ملاً وشعباً  
 وجمعتها بالأمس حزباً  
 شعباً على الحسنى فشعباً  
 من عابدي الإنسان رهبى  
 تاهوا بقيد الذل عجباً  
 فرما لكم أوفى وأربى  
 لى من جميم الروض ترباً  
 يغرى بكم أكلاً وشرباً

\*\*\*

وقل: استعدوا واسلكوا  
 لا تصغروا هولاً ولا  
 وتبينوا أن الفريـ  
 دار الذين سَبَتْهُمْ  
 ضنوا بمصر على العدى  
 وحذار دعوى معشر  
 لا رحمة عرفوا ولا  
 القدوة العليا لهم  
 عقدوا على البغي العرى  
 في مفرق الحدين دربا  
 تستكبروا الأهوال رعبا  
 ق الحر فاتخذوه صحبا  
 حرية، هيهات تسبى  
 وعلى الذي يحتال خبا  
 لم يؤمنوا بالحق ربا  
 عرفوا لغير الشر حباً  
 وحش على العدوان شباً  
 تبت يد الباغي وتباً

\* \* \*

يا آل مصر تذكروا      سعدًا ففي التذكار قربي  
إني استعرت بيانه      فعليّ إن قصرت عتبي  
إلا اللباب فإنني      في الرأي ما أخطأت لباً  
سعد إذا أمضى مضى      وإذا دعاه الهول لبّي

### تحية زعيم راحل°

أكبرت في غياب الزعيم محمد  
حجب الردى عنا بشاشته ولم  
هيهات ينتقص الزمان مجادة  
فخر الصعيد، وفخر مصر جميعها  
من يرسل المثني عليه ثناءه  
جمع القلوب على المديح وإن مضت  
لم تُقض في هذي الديار قضية  
ملء الندى وإن تطامن دفة  
من كان يكبر حاضرًا في المشهد  
يحجب بشاشة ذكره المتجدد  
للسيد بن السيد بن السيد  
بالرأي، والخلق القويم الأيد  
مسترسلاً في القول غير مقيد  
نهجين بين مصوّب ومصعد  
ومحمد ممّا قَضوه بمبعد  
كم دقة شحذت مضاء مهند

\* \* \*

في دارة الفلكي قبلة كوكب  
تطوي المغارب جرمه، وشعاعه  
أكبرت مطلعته، ولم يك طالعي  
ورأيته أقصى وأقرب رؤية  
مهما اختلفت حياله لم يختلف  
متحرز مما يعاب كأنه  
شفت سرائره، فكل سريرة  
فإذا عهدت المحض من عاداته  
يعلو على رصد المنايا الرصد  
متألق في أوجه لم يخمد  
في كل حين عنده بالأسعد  
فإذا البروج لكوكب متوحد  
سمت السماء ولا علو المقصد  
متقيد المسعى، ولم يتقيد  
فيه تضيئك من سراج موقد  
لم تلق يوماً منه ما لم تعهد

\* \* \*

عزَّ الكنانة فيه فهي فجيعة  
ما في مروءات الشعوب مروءة  
البر، والمشهود من آلائه  
ومعاهد التعليم بين مشجع  
وإغاثة الأدب اللهيف، وإن تشأ  
ونزاهة اليد واللسان هداية  
وصراحة الأخلاق ما اشتملت على  
والعزة الشَّمَاء إلا أنها  
وسياسة الوادي، ولم يك رابحًا  
وعزيمة لا تكره الشورى وإن  
شيم وآلاء إذا ما استفردت

تبلو الكنانة في الضمير وفي اليد  
إلا رعته بنظرة المتفقد  
بين المحافل دون ما لم يشهد  
للعاملين بها، وبين مزوّد  
ردًا، فعدّد ما بدا لك، واسرد  
للمهتدين، وقدوة للمقتدي  
مستغلق فيها، ولا متأود  
كالشاهق المخضر لا كالجلمد  
منها سوى الشجن المقيم المقعد  
كانت لتكره حيرة المتردد  
كالقطب، عزّت في ازدواج الفرقد

\* \* \*

عز الكنانة والعزاء ليعرب  
كم زاد عنهم والخطوب بمرصد  
للحق، لا لخبیئة مطوية  
ولنصرة الإسلام لا لعصابة  
سمّح على ما فيه من عصبية  
لا يستطاع على الخصام عناده  
من أكسفورد، ولو نماه معشر  
فيه محافظة، وفيه طرافة  
ورث الحمیّةض كابرًا عن كابر  
غيث الفلاة ونيل مصر كلاهما  
فإذا بكت مصر فغير ملومة

ما بين مُتْهِمِ قومه والمُنْجِدِ  
والشمل بين مشرّد ومبّد  
تلقى العداة الرابضين بموعد  
تسعى إلى الإسلام سعي المفسد  
سهل، وإن أعیى قوى المتشد  
وعليه تعويل الأخ المتوّد  
للأزهر المعمور لم تستبعد  
وأراه في الحاليين غير مقلد  
والأريحية منجدًا عن منجد  
سقياه من أصلية أعذب مورد  
وإذا الحجاز بكى، فغير مفند

\* \* \*

رحم الإله محمداً وأثابه  
كان السبيل السرمدى سبيله  
في خلده الباقي ثواب مخلد  
فعليه رضوان الإله السرمد

### على قبر إبراهيم<sup>٦</sup>

«... إنا لمحزونون عليك يا إبراهيم، وإن ما أنا قائل لا يسر ما يقال في هذا الموقف الأليم»:

يا قبر إبراهيم ما  
بل فيك تنطلق العيو  
ما كنت أحسب أنني  
يا من حملت إليه أك  
جثمانك العف الطهو  
وجبينك السمح الذي  
وعزيمة لم يثنها  
حزني عليك أبا خليـ  
وجميل ذكرك في فمي  
ماذا أقول ومن يعيـ  
أغناك فضلك ناطقاً  
فعليك سابغ رحمة  
وسلام ربك عاطراً

لي بالبيان هنا يدان  
ن وفيك ينعقد اللسان  
ألقاك في هذا المكان  
رم ما يعز، وما يسان  
ر وقلبك الجم الحنان  
ما هان قط، ولا أهان  
غير الأمانة من عنان  
ل ليس يمحوه الزمان  
وجميل صنعك في الجنان  
ن على رثائك، أو يعان  
بالصدق عن نطق البيان  
ونعيم خلد راضيان  
وسلام قومك مجمعان

### آه من التراب<sup>٧</sup>

أين في المحفل «مي» يا صحاب؟  
عوذتنا ها هنا فصل الخطاب  
عرشها المنبر مرفوع الجناب  
مستجيب حين يدعى مستجاب



أين في المحفل «مي» يا صحاب؟

\*\*\*

سائلوا النخبة من رهط الندي  
أين مي؟ هل علمتم أين مي؟  
الحديث الحلو واللحن الشجي  
والجبين الحر والوجه السني  
أين ولي كوكباه؟ أين غاب؟

\*\*\*

أسف الفن على تلك الفنون  
حصدتها، وهي خضراء، السنون  
كل ما ضمته منهن المنون  
غصص ما هان منها لا يهون  
وجراحات، ويأس، وعذاب

\*\*\*

شيمٌ غرُّ رضياتِ عذاب  
وحجى ينفذ بالرأي الصواب  
وزكاء ألمعي كالشهاب  
وجمال قدسي لا يعاب  
كل هذا في التراب، أه من هذا التراب

\*\*\*

كل هذا خالد في صفحات  
عطرات في رباها مثمرات  
إن نوت في الروض أوراق النبات  
رفرفت أوراقها مزدهرات  
وقطفنا من جناها المستطاب

\*\*\*

من جناها كل حسن نشتهيه  
متعة الألباب والأرواح فيه  
سائغ مُيِّز من كل شبيهه  
لم يزل يحسبه من يجتنيه  
مفرد المنبت معزول السحاب

\*\*\*

الأقاليم التي تنميه شتى  
كل نبت يانع ينجب نبتا  
من لغات طوفت في الأرض حتى  
لم تدع في الشرق أو في الغرب سمتا  
وحواها كلها اللب العجاب

\*\*\*

يا لذاك اللب من ثروة خصب  
نير يقبس من حس وقلب  
بين مرعى من ذوي الألباب رحب  
وغنى فيه وجود مستحب  
كلما جاد ازدهي حسنا وطاب

\*\*\*

طلعه الناضر من شعر ونثر  
كرحيق النحل في مطلع فجر  
قابل النور على شاطئ نهر  
فله في العين سحر أي سحر  
وصدى في كل نفس وجواب

\* \* \*

حي «مياً» إن من شيع ميا  
منصفاً حيا اللسان العربيا  
وجزى حواء حقاً سرمديا  
وجزى مياً جزاء أريحياً  
للذي أسدت إلى أم الكتاب

\* \* \*

للذي أسدت إلى الفصحى احتسابا  
والذي صاغته طبعاً واكتسابا  
والذي خالته في الدنيا سرايا  
والذي لاقت مصاباً فمصابا  
من خطوب قاسيات وصعاب

\* \* \*

أتراها بعد فقد الأبوين  
سلمت في الدهر من شجو وبين  
وأسى يظلمها ظلم الحسين  
ينطوي في الصمت عن سمع وعين  
ويذيب القلب كالشمع المذاب

\* \* \*

أتراها بعد صمت وإبء  
سلمت من حسد أو من غباء  
ووداد كل ما فيه رياء  
وعداء كل ما فيه افتراء  
وسكون كل ما فيه اضطراب

\*\*\*

رحمة الله على «مي» خصالا  
رحمة الله على «مي» فعالا  
رحمة الله على «مي» جمالا  
رحمة الله على «مي» سجالا  
كلما سجل في الطرس كتاب

\*\*\*

تلکُم الطلعة ما زلت أراها  
غضة تنشر ألوان حلاها  
بين آراء أضاءت في سناها  
وفروع تتهادى في دحاهها  
ثم شاب الفرع والأصل، وغاب

\*\*\*

غاب والزهرة تؤتي الثمرات  
ثمرات من تجاريب الحياة  
خير ما يؤتي حصاد السنوات  
بعثرتهن الرياح العاصفات  
ورمتهن ترابًا في خراب

\*\*\*

رد ما عندك يا هذا التراب  
كل لب عبقري أو شباب  
في طواياك اغتصاب وانتهاج  
خُلقا للشمس أو شم القباب  
خُلقا لا لانزواء واحتجاب

\* \* \*

ويك! ما أنت برأء ما لديك  
أضيع الآمال ما ضاع عليك  
مجد «مي» غير موكول إليك  
مجد «مي» خالص من قبضتِكَ  
ولها من فضلها ألف ثواب

عام محمد<sup>٥</sup>

تلك ذكرى على المدى تتجدد  
بعد جيل، أخلق به أن يخلد  
كلما عده الكرام تعدد  
كثمار الفردوس هيهات تنفذ  
إن تقضى الزمان لم يُتفقد  
عس ليل سمعت: أين محمد؟  
أين من كان أمة وهو مفرد  
وله في ذؤابة المجد مسند  
في مغيب من الوداد ومشهد  
ولكل من دهره ما تعود  
صان في جيده عرى ما تقلد  
صدع العزم أيديا فتبدد  
والطوايا في وصفه تتوحد  
نتقيه جندي مصر المجدد  
منهم في جواره غير مبعد  
هو في كل مسمع يتردد  
لا يرى قاصداً، وإن كان يُقصد

جدد العهد بعد عام محمد  
خلق لا يزال قدوة جيل  
بل طراز من المكارم باق  
ومعان غراء هيهات تُحصى  
إنما يُذهب الزمان فقيداً  
ليس يُفني الزمان من كلما عس  
أين من كان رحمةً وهو بأس  
أين من كان للمساكين عوناً  
أين من كان منية المتمني  
أين من عُود الإباء صبيّاً  
أين من كلما تقلد أمراً  
أين من كان مرجع القوم فيما  
أين من كان قولهم فيه شتى  
أين من كان قائداً وهو فيما  
سألوا أين أين؟ وهو قريب  
هو في كل معهد يتراءى  
هو فيهم وقد تغيب عاماً

رب دانٍ مجسد لا نراه      وبعيد نراه غير مجسد

\* \* \*

مصر يا أمة الخلود المشيّد  
أنت في نعمة وخير عميم  
لك في الذكريات كنز رجاء  
فاذكري الغابرين وادخريهم  
إنهم مهدوا الطريق ولولا  
اذكري كلما بلغت زهيّدًا  
واذكري كلما بلغت عظيمًا  
إن ما ضاء كان بالأمس ظلما  
والذي في يدك كان سرايا  
وارقبي العالم المُطِل علينا  
الحروب التي تضج وغاها  
إننا في يديه لعبة لاه  
ما مضى من زماننا أو سيأتي  
الجنين الموعود لا تجهلوه  
هو حي، إن لم يكن قد تسمّى  
فاجمعوا عدة من الأمس ترضى  
أنتم في كنانة الله أهل  
ولكم من صيانة الله شروى  
كل حق لكم فغير مضاع

والوفاء الذي رسا وتوطد  
ما تعهدت خير ما يتعهد  
أبد الدهر بابه ليس يوحد  
لغرار ينضى وعزم يشدد  
خطوهم فيه لم يكن بالمهد  
من أمانيك أنه كان أزهد  
أن جهد المصري في المجد أجهد  
ء وما ابيضّ كان بالأمس أسود  
زمنًا ثم صار يجنى ويحصد  
من غدٍ، إنه جنين سيولد  
هي نجوى مخاضة تتصعد  
إن جحدناه أو حسبناه يُجحد  
في يدي ذلك الجنين سيحشد  
يا بني مصر فهو للجهل مُرصد  
باسمه في قرابه فكأن قد  
واجمعوا عدة من الغد تحمد  
إن تصدوا السهام وهي تسدد  
ما تصونون من فخار وسؤدد  
ما رعيتم حقًا لمثل محمد

### الشهيد معاوية

احتفل أدباء السودان بتأبين الأديب السوداني النابغ معاوية محمد نور، وقد لقي نصبًا من سقامه، وعوجل — رحمه الله — في ريعان صباه دون الثلاثين، بعد أن بشر العالم العربي بأمل كبير لم تنجزه المقادير.

وقد أرسل صاحب الديوان هذه القصيدة لتُلقي في يوم تأبينه، عوض الله الأدب فيه خير العوض، وعزى الأدباء أحسن العزاء:

أجل هذه ذكرى الشهيد معاويةً  
 أجل هذه ذكراه لا يوم عرسه  
 فما أقصر الدنيا التي طوّل الضنى  
 وما أضيع الآمال أمال من رأوا  
 ومن أيقنوا أن الهلال الذي بدا  
 بكائي عليه من فؤاد مفعج  
 بكائي على ذاك الشباب الذي نوى  
 بكائي على ما أثمرت وهي غضة  
 فضائل منها نخبة أزهرت لنا  
 فيا لك من ذكرى على النفس قاسيةً  
 ولا يوم تكريم، ودنياه باقيةً  
 أصائله فيها، وأشقى لياليه  
 مطالعه في مشرق النور عاليةً  
 على الأفق أحرى أن يعمّ نواحيه  
 ومن مقلّة ما شوهدت قطُّ باكيةً  
 وأغصانه تختال في الروض ناميةً  
 وما وعدتنا، وهي في الغيب ماضيةً  
 لمأمًا، وأخرى لم تزل فيه خافيةً

\* \* \*

تبينت فيه الخلد يوم رأيته  
 وما بان لي أني أطالع سيرة  
 وأن اسمه الموعود في كل مقول  
 أجل هذه ذكراه يا نفس فاذكري  
 أجل هذه ذكراه يا عين فاذرفي  
 إذا قصرت أيام من نرتجيهم  
 ويا طول حزن النفس وهو منيبة  
 فيا يوم ذكراه سنلقاك كلما  
 ويا عارفيه لا تضنوا بذكره  
 أعيروه بالتذكّار ما ضنّ دهره  
 وزيدوا النفيس النزر من ثمراته  
 فإن لم تكن في العد كثرًا فباركوا  
 عليه سلام لا يزال يعيده  
 وما بان لي أن المنية آتية  
 خواتيمها من بدئها جد دانية  
 سيسمعه الناعون من فم ناعية  
 فجيعتنا فيه، وما أنت ناسية  
 عليه شآبيب المدامع دامية  
 فيا طول حزن النفس والنفس راجية  
 إلى اليأس من عجز بها، وهي آبية  
 رجعت إلينا، والضمائر صاغية  
 ففي الذكر رجعى من يد الموت ناجية  
 به عيشة في مقبل العمر راضية  
 بتكرارها في القلب أولى وثانية  
 معانيها حبًا، ووفؤوا معانيه  
 ويبديه شادٍ في الديار وشادية

## عبد القادر

ويح البيان على المبين الساحر  
 الملبس الماضي لباس الحاضر  
 الموازن الآراء وزن جواهر  
 والعلم، والقلم القويّ القاهر  
 يومًا لمنتقم ولا لمناظر  
 يلقيه باطن سرها كالظاهر  
 حتى يزلن، ونعم أجر الصابر  
 في اليسر والإعسار، بذل مسافر  
 يأبى التجمع في القطيع النافر  
 عَنَتِ يصيب ملالة من زائر  
 حصر يعيب، ولا كلاله خاطر  
 سلس لباغ، أو مهابة أمر  
 ما بين وافٍ منهم أو غادر  
 وبأله رفق العليم الشاعر  
 عجبني له من مستقر ثائر  
 بعد ارتداد السيف عتبي عاذر  
 من سرعة الشاكي وبطء الشاكر  
 بغضًا لمعتقد ولا لمكابِر

جل المصاب بفقد عبد القادر<sup>١٠</sup>  
 الباحث المنطيق في تاريخه،  
 الناقد الأنبياء نقد صيارف،  
 المستعين على السياسة بالحجى  
 والحجة العليا ما طأطأت  
 الدارس الأيام درس مجرب  
 الصابر المزجي الخطوب بصبره  
 الباذل الدنيا على علم بها  
 المستعز بوحدة الأسد الذي  
 الراسخ الجم الوقار، بغير ما  
 الصامت النزر الكلام بغير ما  
 الوداع السهل الطباع بغير ما  
 صاحب المبقي على أصحابه  
 الوالد البر الرفيق بولده  
 الثائر الوطني في ميدانه  
 الصارم الماضي السلاح وعنده  
 عرف الحقائق فاستراح جنانه  
 ووعي عواقبها فلم يِع صدره

\*\*\*

علم على بعد، وعلم معاشر  
 أو مرّ من يوم عبوس كاشر  
 متلاحقين مع الشباب الباكر  
 عَزَّتْ على غير الطمر الضامر  
 نعم العتاد لذاكر ولعابِر  
 ذكرى المُشيب من الجهاد الظافر

علمي به علم المطالع زاده  
 كم مرّ من يوم ضحوك بيننا  
 خضنا الحياة معًا على علاتها  
 وجرى يراعانا معًا في حلبة  
 ذكراه والأيام عابرة بنا  
 ذكرى القشيب من الشباب تزينها



عهدان من عمّرين لو نُسجا معًا لم تدر أيهما مكان الآخر

\* \* \*

يا يوم منعاه سبقت بمنذر  
يوم لمست النحس قبل صباحه  
ومشى النهار إليّ منقبض الضحى  
حُيرت فيه، فحين زالت حيرتي  
بذهاب نابغة ومصرع غالب  
وفجیعة لا كالفجائع في أخ  
تمضي السنون وفي الصحائف صفحة  
ما كان خط مداده في طرسها  
أسفي عليها وهي لابسة له  
وعزیزة للنابغين نظائر  
فإذا بكى الباكي عليه فإنما  
وإذا جزيناه الوفا فبعض ما  
إن الذي حفظ العصور بذكره  
وتراث عبد القادر الباقي لنا

في الصدر من وحي الهواجس صادر  
وطويت فيه على الهموم ضمائري  
كالليل، مشية مستكين عائر  
زالت بأفدح من ظنون الحائر  
وختام عهد بالعظائم عامر  
وزميل أقلام وصنو منابر  
تبيض فخرًا، وافتقاد محابر  
إلا بياض جبينها المتباشر  
ثوب الحداد من البياض الشاغر  
في الشرق تتلى بعدهم بنظائر  
يذري الدموع على عزيز نادر  
وفي الحقوق لحاضر ولغابر  
حق له ذكرى الثناء العاطر  
فيه «البلاغ» لقارئ ولذاكر

## هوامش

(١) ألقيت من محطة الإذاعة المصرية في ذكرى وفاة «سعد» سنة ١٩٤٠.

(٢) إشارة إلى نجم القطب الذي يهدي في الظلام.

(٣) حدا.

(٤) معنى البيتين إنني استعرت بيان سعد، فإن قصرت في هذه الاستعارة فالعتب

عليّ. أما لباب المعنى فلا تقصير فيه؛ لأنني لم أخطئه.

(٥) ألقيت بقاعة الاحتفالات بجامعة فؤاد الأول يوم الأربعاء لوفاة المغفور له محمد

محمود باشا.

(٦) ألقيت على قبر السري الكبير إبراهيم عامر باشا يوم وفاته، وكان — رحمه الله

— مثلاً لعلو الهمة ومكارم الأخلاق.

## في عالم الذكرى

(٧) رثاء كاتبة العربية الفضلى الآنسة مي زيادة، ألقى بدار الاتحاد النسائي بالقاهرة.

(٨) ألقى في الذكرى الثانية بعد انقضاء عام لوفاة المغفور له محمد محمود باشا رحمه الله.

(٩) جمع شؤبوب وهو دفعة المطر.

(١٠) هو فقيد الكتابة والصحافة المرحوم عبد القادر حمزة باشا صاحب «البلاغ».



## هنا ... وهناك

### تفسير حلم<sup>١</sup>

تفسير حلمي بالجزيـ  
حلما ن حظهما خيا  
ما دمت بينهما فما  
وإذا التذكر عاد بي  
يا جيرة «النيل» المبا  
وله سميُّ في الصحا  
حييت فيه سميـ  
رة<sup>٢</sup> وقفتي في المقرن  
لأ دون حظ الأعين  
أنا سائلٌ عن مسكني  
عطف الجديد فردني  
رك: كل نيل موطني  
فة معرب لم يلحن  
وحدت فيه مأمني

### صوت السودان

صوت<sup>٣</sup> من السودان أسـ  
تهفو له الأسماع صا  
فيه بشاشة وامق  
لولا حفاوته الكريـ  
فارقت من مصر الجديـ  
شكرًا له صوتًا تبيـ  
مستلهم لغة القلو  
معني بمصر فسرني  
غيةً ولم يستأذن  
ومبشر ومؤمن  
مة ما علمت بأنني  
دة ذات يوم مسكني  
ين من لسان بيـ  
ب مترجم بالأعين

شمل العروبة كلها      وسرى إليّ فخصني  
ماذا أقوله وقد سبقـ      ست بكل قول ممكن  
قدم العهود أحبُّ لي      من بدعة المتفنن  
من كان ديدنه الصنا      عة فالسليقة ديدني

## شعر الأسود

كم هازل بالشعر جهده  
يهذي به ويعاف جده  
ما الشعر للنناس وحده  
كم ألهم التبيان أسده

## القمر والظلام

لا أوثر القمرء في حسنها      على الدجى، والطرف فيه يحوم  
سناك يا بدر يريني الثرى      وظلمة الليل تريني النجوم

## صداح الأثير°

ملأ الأفاق صداح الأثير      لا فضاء اليوم، بل صوت ونور  
لك من كل فضاء شاسع      حيثما يمتد، داع وبشير  
ما صفاء الجو إن فتشته      غير أصداء حواليك تمور  
لجب لكنه مستأنن      يطرق السمع بسلطان قدير  
أوهى الأرواح إن قلت: احضري      حضرت، أو شئت أعيائها الحضور  
قيل: أمواج، فقلنا: وبحور      من معانٍ وبيان وشعور  
تركب الأبواب فيها سفناً      سبَّقا بين طويل وقصير  
حملت من كل زاد، وقرت      كل غادر، ووعت كل أثيراً

ولها في كل يوم مدد يلتقي الأول فيه والأخير

\*\*\*

كان فرعون له مجلسه وهو ذو الصرح المعلى والسرير  
ولنا في كل دار مجلس هو نادٍ لك، أو مدرسة  
غلب الوهم الذي زينته دعوة المارد إن قيست إلى  
بورك العلم لعمري إنه ربما أسمعنا في غده  
من صفات الله، والله قدير نغم الأفلاك، أو صوت الضمير

\*\*\*

مسمع العلم في عاصمة لا يقر الدهر إن ماتت، فإن  
بُنيت حينًا على اليأس وما جمعت أوصالها حرية  
وخصيم الأمس من أعدائها كلهم، والأمر شورى بينهم  
تسبح الدنيا إليها وتطير سكنت فالدهر حوليها قرير  
رصدته اليوم إلا لمغير يستوي فيها قليل وكثير  
هو في معمعة اليوم نصير مستجير في حماه ومجير

\*\*\*

عامك الثالث أم شرخ الصبا؟ لست بالحبو خبيرًا إنما  
راكب الريح إذا قيس إلى حدّ الدنيا حديث الضاد من  
وأعده ساريًا حيث سرى طالما رنت على آفاقه  
من رُبي أندلس حينًا ومن هاتها في نسق موصولة  
أنت في مهدك جبار جسور أنت بالوثب على الأفق خبير  
خطوك الواني سلحفاة كسير ساحة رتلّ فيها شكسبير  
زمنًا في مغرب الشمس المنير نغمات من نظيم ونثير  
قمم الأطلس حينًا والثغور يلتقي «بيرن» فيها وجريير

\* \* \*

ناقل السر وما أعجبه  
تسمع القطبين ضدين كما  
عصب الأنساب يا هذا الأثير  
كلنا في رحبه عائلة  
تنظم القربى على طول المدى  
عجبي من عالم تجمعه  
قل حديث الحرب والسلام معاً  
أنت بالصدق كفيل أن ترى  
يملك اللب حليفاً راضياً

في رحاب الكون من سر جهير  
يسمع النجوى سمير من سمير  
أنت في الأرض، وفي الكون الكبير  
حين تسري أنت أو حين تسير  
من ذرى الشعري إلى قاع البحور  
أذن. كم فيه من قلب نفور!  
رُبَّ حرب هي للسلم عبور  
أمم الأرض إلى الحق تصير  
من له في دولة السمع سفير

### إلى المستمع العربي بلندن<sup>٧</sup>

دعوت إلى حق وأسمنت واعياً  
وأثرت للعرب اللسان الذي به  
وناديتهم من جانب الغرب مثلهم  
أصاخوا فلم يستنكروا القول عجمة  
إذا الحر ناجى الحر فليلق قوله  
على ذاك يمزير «اللندني» محدثاً  
ويصغي ابن بغداد إليه محدثاً  
وفي جلق<sup>٨</sup> واع، وفي القدس شاخص  
حقائق في شرق البلاد وغربها  
يؤلف شملهم على البعد أنهم  
وأنهم للظالمين بمرصد  
وأن الذي أوصى به الشرق بادئاً  
فيا لك من حرية جمعتهما

فحُيِّتَ مدعوًا، وحُيِّتَ داعياً  
تنزلُ وحي الله للعرب هادياً  
فتى عربياً واضح الصوت عالياً  
ولم يسمعوا منه لساناً مداجياً  
صريحاً، ولا يومئ إليه مواردياً  
فيصغي إليه «القاهري» موالياً  
وينقل عنه شعب مكة راوياً  
وفي برقة شادٍ يجاوب شادياً  
يساجل فيها الحاضرون البوادياً  
أبوا أن يطيعوا في سوى الحق راعياً  
طغاة على من يحكم الناس طاغياً  
تواصى به الأحرار في الغرب تالياً  
إلى نسب عالٍ عليه تلاقياً

وما عصبية الأحرار إلا أخوة  
فلا جاور الشرق امرؤ يصطفي له  
ولا زال هذا الشرق بالحق أمرًا  
إذا اشترك القطبان فيها تآخيا  
عدوًّا لآمال الشعوب معاديا  
ولا زال هذا الشرق بالحق ناهيا

\*\*\*

إلى «مسمع العرب» الكرام تحية  
أرى لك في سن الفطام شبيبة  
وألّمح من بشراك طالع مولد  
سبقت رِغاب النصر حتى كأنما  
وأتممت حولًا واحدًا فتحوّلت  
فإن شئت كن فالًا، وإن شئت هاتفًا  
تبلبلت الأسماع حينًا، وأطبقت  
وهيهات ما كان الرجاء مغيبًا  
يقيني الذي لم يطرق الشك سمعه  
وأن الذي خالوه صرعة هالك  
وقد هجر الغافي المضاجع فانظروا  
توثب للعدوان فليمض واثبًا  
أحیی بها عامًا من العمر ثانيا  
تسابق في العام القرون الخواليا  
تلاقیه أبراج السعود حوانيا  
خففت لتلقاه على القرب آتيا  
مخاوف أقوام فلاحت أمانيا  
إذا أسمع الضلّيل أقبل ناجيا  
صروف قضاء ظنه القوم قاضيا  
لمن رامه، كلا ولا الأمر خافيا  
سحابة يوم أن للحق واقيا  
نذيرٌ إذا ما اشتد أيقظ غافيا  
على الساهر الجهد المکتم باديا  
على غرة منه لينقض هاويا

\*\*\*

إلى مسمع العرب الكرام نبوءتي  
سيُدير شر كان بالأمس مقبلًا  
ويصعد نجم العرب في الشرق ساطعًا  
كفيلي بما أنبأت صدق روية  
فلا انخدعت، والحمد لله، ضلة  
غدًا، فانتظرنني باليقين إلى غد  
فسلني غدًا عنها، وما أنت ناسيا  
ويُقبل خير كان بالأمس نائيا  
ونجم حليف العرب في الغرب ساطعًا  
ترى الغد من مستقبل الدهر ماضيا  
ولا خدعت يومًا وفيًا موافيا  
وهاك التّحايا قبله والتّهانيا



## بين التعب والراحة

قال المعري:

تعب كلها الحياة فما أعـ جب إلا من راغب في ازدياد

ويقول صاحب الديوان:

راحة كلها الحياة فما أعـ جب إلا من راغب في ازدياد  
ما ابتغاء المزيد من يوم أمنٍ عاطل لا يزداد بالتعداد  
فالزمان المريح تكرر شيء واحد وأطراد حال معاد

## هذا هو التاريخ

من جانب القبر لسان بدا يكذب ما شاء ولا يستحي  
هذا هو التاريخ لو أنني صورته يومًا على المسرح!

## النقد

أعطيتهم لؤلؤًا حرًا فحين رأوا صغيرةً منه صاحوا: أي إفلاس!  
وجادهم بالحصى غيري فحين رأوا خُرَيْزَةً فيه قالوا: أكرم الناس

## الظن

إذا خفت ظن الناس ظنوا وأكثروا وإن لم تَخَفْهُ أكرموك عن الظن  
فإن شئت بهبهم ألف عين، وإن تشأ فدعهم بلا عين تراك ولا أذن

## رأي الناس

من عوّد الناس خيراً طالبوه به  
ومن تعقّبهم شرّاً فأمهلهم  
لا رأي للناس في نفع ولا ضرر  
كأنه الدّين يُلوى بالمعاذير  
يوماً تقبّل منهم أجر مشكور  
وما لهم قط من حكم وتقدير

## بين همّ وسامة

أتهتم بالدنيا؟ فتلك حبيبة  
ألي لها همّ؟ فهاتيك خلة ١٠  
وما بين همّ دائم أو سامة  
فخذها على علاتها وألق عيشها  
إليك فما تخليك يوماً من الهم  
صداقتها أضنى من الهم للجسم  
خيارٌ لمختار وحكم لذي حكم  
شقيّاً بعلم، أو شقيّاً بلا علم

## الطيش والحزم

الطيش أن تعمل ما تشتهي  
والحزم أن تحذر ما تتقي  
كفئان إن وازنت حظيهما  
وقد يساوي النفع فيه الضرر  
وقلماً يغنيك فيه الحذر  
يا صاح فاختر منهما ما حضر

## يا كتبي

في ختام الجزء الأول من الأجزاء الأربعة المجموعة في مجلد واحد قصيدة بهذا العنوان،  
جاء منها هذه الأبيات:

يا كتبي أشكو ولا أغضب  
يا كتبي أورثتني حسرة  
يا كتبي ألبست جلدي الضنى  
ما أنت من يسمع أو يعتب  
هيهات لا تنسى ولا تذهب  
لم يغن عني جلدك المذهب

كم ليلة سوداء قضيتها  
كأنني ألمح تحت الدجى  
والناس إما غارق في الكرى  
أو عاشق وافاه معشوقه  
أو سادر يحلم في ليله  
ينتفع المرء بما يقتني  
إلا الأحاديث وإلا المنى  
سهران حتى أدبر الكوكب  
جماجم الموتى بدت تخطب<sup>١١</sup>  
أو غارق في كأسه يشرب  
فنال من دنياه ما يرغب  
بيومه الماضي وما يعقب  
وأنت لا جدوى ولا مأرب  
وخبرة صاحبها متعب

وختمت القصيدة بهذا البيت:

لا رحم الرحمن فيمن مضى  
من علم العالم أن يكتبوا

والقصيدة الجديدة في هذا الديوان تشير إلى تلك الأبيات بما ورد فيها من المقابلة،

وهذه هي:

شكوتها والعمر في فجره  
لما دنا المغرب صالحتها  
تلك التي قلت لها مرة  
«يا كتبي أورثتني حسرة  
«يا كتبي ألبيت جلدي الضنى  
فالآن يا كتبي تعالي لمن  
ما أنت شر من عناء المنى  
ما أنت أقسى من شقاء الهوى  
ما أنت أغلى ثمنًا إن غلا  
ما أنت في سكر وفي متعة  
ويحك! إنا نحن من معشر  
غداً سنمسي كلنا ما لنا  
فليت لي إذ أنا تحت الثرى  
فكيف بي لما دنا المغرب؟  
تلك التي تشكي ولا تغضب  
والقلب دام والحشا ملهب  
هيهات لا تنسى ولا تذهب»  
لم يغن عني جلدك المذهب»  
أخبثُ شيء عنده طيب  
وهي التي في صدقها تكذب  
وهو الذي في لهوه يتعب  
من جوهر يكنز أو يعطب  
أخلى من السم الذي يشرب  
يسبق فينا «الدور» أو يعقب  
في العيش إلا رفك المترب  
جمجمة ثرثارة تخطب

رهطاً من القراء يرضونني  
يا كتبي ما شئت فلتحسبي  
رضاي عن بلواك إذ أغضب  
أو شاء قرائي فليحسبوا

## عجز أو قدرة

علميني كيف لم تضطربي  
أنا لو لاقيت أخرى مرة  
بين أسماء الأفاصي والأداني  
خفت أن يخط باسمين لساني  
العواني في حجاب دائم  
قدرة فيهن أم عجز طغى  
أم هما في لحظة مجتمعان؟  
من فناء الغيد في حاضرها  
نسيها من غاب عنها كل آن

## جواب جميل

قال جميل بن معمر صاحب بثينة:

ألا أيها النوم ويحكمُ هبوا  
وأجيب بلسان أحد النوام:  
أسألكم هل يقتل الرجلَ الحب؟

بربك دعنا راقدين فلو درى  
وسل راقدي الأجداث عنه، فإنهم  
بنا الحب لم يرقد لنا أبداً جنب  
مجيوك عن علم بمن قتل الحب!

وقد سأل جميل بلسان الحال:

ألا أيها الأموات ويحكم هبوا  
وقد أجيب بذلك اللسان:  
أسألكم هل يقتل الرجلَ الحب؟

أفق مزعج الموتى، فلو كنت قادراً  
على أن تهبَّ اليوم من صرعة هبوا

ولست إلى أن يُسمع الصور سامعًا      هنا سر مقتول يبوح به صبا!

## الفقير

ثروة المرء بما يطلبه      لا بما يملكه بين يديه  
مالك الأرض فقير إن رعى      مطلبًا يطمح بالعين إليه  
والذي أفقر منه طالب      ودَّ قلب ما له ود لديه

## ويلنا

من غلا عنده السرور رخيص      كاسد السوق في كبار الأمور  
والذي يستحق كل سرور      عجبًا يزدري بكل سرور!  
إن غلا عندنا النعيم رخصنا      ويلنا ويلنا بدار الغرور

## سيان

إن قيل بالحق أو البهتان  
دعهم يقولون، وقل: سيان!  
سيان مهما افترق الضدان  
سيان مهما اختلف الخصمان  
سيان ألفُ هي أو ألفان  
سيان بيدٌ هي أو مغان  
سيان نور أو ظلام فان  
سيان من يلهو ومن يعاني  
قلها ببرهان ولا برهان  
وأنت أنت أحكم الزمان  
وإن تصدوا لك بالنكران

أو ضحكوا سخراً فقل: سيان!

## أُتمنى

أُتمنى يوماً لو ان حياتي  
أُتمنى وقد أطلت التمني  
أُتمنى لو علمتني الليالي  
منية لو تحققت لتساوى  
تنقضي كلها ولا أتمنى  
لو تعلمت كيف أن أتمنى  
باطل الأمر قبل أن أتمنى  
ما تملكته وما أتمنى

## الصرف والمزيج

رب ما بالننا نغص بأحلى  
رب والعيش فيه حلو ومز  
لِمَ لا يصفوان فالشهد شهد  
إن خلّاً يشوب شهداً ضلال  
ما شربنا وفيمَ يا رب يحلو؟  
لم لا يمحضان والأمر سهل؟  
حين يعطي العباد والخل خل  
ولشهد يشوب خلا أضل!

## خداع النفس

يقول وما قضى عجباً  
أيخدع نفسه رجل  
أجل يا صاح: عينان!  
وهل أخدع للإنسا  
خداع النفس معهود  
فتى يخبط في حدسه  
له عينان في رأسه؟  
وزد ما شئت من حسه  
ن بين الناس من نفسه  
وقاك الله من دسه

## كيمياء وصيرفي

قال ابن الرومي:

إن للحظ كيمياء إذا ما      مس كلباً أحاله إنساناً

ولم يقل:

إن للحظ صيرفياً أريباً      يقتفي كيمياءه أحياناً

## جنة الخيام

رغيف خبز ووجهٌ      حلو، وكأس مُدام  
وتلك جنة عدن      في مذهب الخيام<sup>١٢</sup>

\* \* \*

قالوا: ونودي يوماً      ما تشتهي في يديكا  
دع مطلباً منه فرداً      والباقيان لديكا

\* \* \*

فحار بين رغيف      إن فاته مات جوعا  
وبين وجه منير      إن غاب غابت جميعا

\* \* \*

وبين كأس مُدام      على الشقاء تعين  
لولا خداع مناها      أفاق وهو غبين

\* \* \*

طال التردُّد فيها      فمال عنها كظيما  
سألت جنة خلد      وما سألت جحيما

هنا ... وهناك

\* \* \*

قالوا: فناداه صوت يقول في غير رفق  
كصوت إبليس لولا ما فيه من فرط صدق

\* \* \*

«أتلك جنة خلد تهذي بها يا حكيم  
بمطلب إن عداها تردت وهي جحيم؟»

## بيجو

«... صور كثيرة بقيت في خلدي من الإسكندرية، كأنها صفحات مقسمة من معارض الفن والحياة والتاريخ.

وستبقى ما قُدر لها البقاء.

وسيكون من أبقاها وأولاهها بالبقاء صورة واحدة لمخلوق ضعيف أليف، يعرف

الوفاء ويحق له الوفاء، وذلك هو صديقي «بيجو» الذي فقدناه هناك.

وإني لأدعوه صديقي ولا أنكره باسم فصيلته التي ألصق بها الناس ما ألصقوا من

مسبة وهوان، فإن الناس قد أثبتوا في تاريخهم أنهم أجهل المخلوقات بصناعة التبجيل، وأجهلها كذلك بصناعة التحقير. فكم من مبجل بينهم ولا حق له في أكثر من العصا،

وكم من محقر بينهم، ولا ظلم في الدنيا كظلمه بالازدراء والاحتقار.

وكنت أقدر أنني سأخلو من العمل في مجلس النواب ثلاثة أشهر الصيف الجديد،

فأخلو بنفسي وبالبحر والصحراء في مرسى مطروح أو في السلوم، وأفرغ هناك لتأليف

كتابي الذي جمعت له ما جمعت من الأخبار والوقائع عن الصحراء وأبنائها الأقدمين

والمحدثين. فلما تواصلت الجلسات أزمعت أن أقضي أياماً في القاهرة، وأياماً في الإسكندرية

من كل أسبوع، ولم أصطحب بيجو في الرحلة الأولى ولا في الرحلة الثانية، ولا عزمتم على

اصطحابه بقية أشهر الصيف؛ اكتفاء بأن أراه أيام مقامي في القاهرة، وأن أعود إليه

كل أسبوع، ولكن المخلوق الأمين الوفي أرغمني على مصاحبته كلما زهبت إلى الإسكندرية

وكلما رجعت منها؛ لأنه صام عن الطعام صومة واحدة في المرحلة الثانية، وزاده إصراراً



على الصيام أننا كنا نتركه في كفالة الشيخ أحمد طاهينا القديم، الذي يعرفه قراء كتابي «في عالم السدود والقيود».

والشيخ أحمد حمزة كما علم أولئك القراء رجل يُكثر الصلاة والوضوء، ويعتقد نجاسة الكلاب فلا يقربها إلا على مسافة أشبار. وبيجو مخلوق حساس مفرط الإحساس ما هو إلا أن تَبين النفور من الشيخ أحمد حتى قابله بنفور مثله أو أشد وأقسى، فكنا إذا تعمدنا تخويفه وزجره نادينا «يا شيخ أحمد»، فإذا بيجو تحت أقرب كرسي أو سرير، ثم لا يخرج من مكمته إلا إذا أيقن أن الشيخ أحمد حمزة بعيد، جد بعيد.

فلما استحال التوفيق بينهما، واستحال إقناعه بالعدول عن الصيام في غيابنا أصبح بيجو من ركاب السكة الحديد المعروفين في الذهاب والإياب، وأصبح يزاملنا من القاهرة إلى الإسكندرية، ومن الإسكندرية إلى القاهرة كل أسبوع، وشاعت له نوادر في معاكسته للموظفين ومعاكسة الموظفين له يتألف منها تاريخ وجيز، ثم أصابه في الإسكندرية ذلك المرض الأليم، الذي كان فاشياً فيها، واستعصى علاجه على أطباء الحيوان، فلزمته في مرضه مخافة عليه من مشقة السفر، وعلمت أن الأمل في شفائه ضعيف، ولكني لم أجد مكاناً أولى بياواته من المكان الذي أراه ويراني فيه.

وإني لفي ظهيرة يوم بين اليقظة والتهويم إذا بهمهمة على باب حجرتي، وخذش يكاد لا يبين. ففتحت الباب فرأيت المخلوق المسكين قابلاً في ركنه يرفع إلي رأسه بجهد ثقيل، وينظر إلي نظرة قد جمع فيها كل ما تجمعته نظرة عين حيوانية أو إنسانية من معاني الاستعطاف والاستنجاد والاستغفار، أحس المسكين وطأة الموت، فتحامل على نفسه وخطا من حجرته، وجلس هناك يخذش الباب حتى سمعته، وفتحت له وهو لا يزيد على النظر والسكوت.

كان اليوم يوم أحد، ولكننا بحثنا عن الطبيب في كل مظنة لوجوده حتى وجد، وشاءت له مروءته الإنسانية أن يفارق صحبه وآله في ساعة الرياضة؛ ليعمل ما يستطيع من ترفيه وتخفيف عن مريضه الذي تعلق به، وعطف عليه لفرط ما أنسه أثناء علاجه من ذكائه وألعيه ومداعباته. ولكنه وصل إلى المنزل وبيجو يفارق هذه الدنيا التي لم يصحبها أكثر من سنتين.

سيبقى من صور الإسكندرية ما يبقى وسيزول منها ما يزول، ولكني لا أحسبني ناسياً ما حبيت نظرة ذلك المخلوق المتخاذل، يقول بها كل ما تقوله عين خلقها الله ويودعها كل ما ينطق به فم بليغ من استنجاد واستغفار، كأنه يعلم أنه أقلقني ولا يحسب ما كان فيه عذراً كافياً لإقلاق صديقه.

ومن شهد هذا المنظر مرة في حياته علم أنه لا يُنسى، فإن لم يعلم ذلك فهو أقل الناس حظاً من الخلائق الإنسانية؛ لأن البعد من العطف على الحيوان لا يجعل المرء بعيداً من الحيوان، بل يقربه منه غاية التقريب ...»

هذه كلمة من مقال نشر بمجلة الرسالة الغراء (٣ أكتوبر سنة ١٩٣٨)، وفيها ما يصلح أن يكون مقدمة للقصيدة التالية. ولكنها مقدمة تفتقر إلى تتمة من مقال آخر نشر في الرسالة أيضاً بعنوان «كلمي بيجو» قبل ذلك بنحو عام، وهذا هو المقال:

... أنا أكتب هذا المقال عن «بيجو»، وهو ينظر إليّ ثم يذهب ويعود ليطل مرة أخرى، ولا يدري أنني أكتب عنه وأشيد بذكره. وكل ما يدريه أنني جالس في هذا المكان الملعون الذي يحب كل مكان في البيت غيره، وهو كرسي المكتب. ففي كل مكان في البيت يراني مستعداً للملابته واستجابة نظراته، والتفرج على فنونه ولأعبيه وقفزاته. أو يراني مستعداً للإشارة إليه واستدعائه، فإذا هو واثب وثبة واحدة إلى حيث يستوي على مكانه بجانبني، ويغريني بملاطفته ومجالمته أن أبذل له الملاحظة والمجاملة، وأحبيه بعبارات التودد والمساجلة ... ينتظر مني ذلك في كل مكان إلا كرسي المكتب، فإذا جلست إليه لأكتب أو لأقرأ فهو حائر لا يدري ما يصنع: يدنو من الكرسي إلى مسافة قصيرة ثم يرفع رأسه وينظر، ثم يعيد النظر كرة أخرى، ولعله يسائل نفسه: ما بال صاحبي لا يناديني ولا يجيبني؟ وما بال عينيه تتجهان أمامه وقلماً تتجهان ناحيتي؟ فإذا طال عليه التساؤل والترقب رجع أدراجه، وغاب هنيهة، ثم عاد إلى المكتب يترقب كلمة النداء أو نظرة الاستدعاء، أو لمسة التربيت والاحتفاء، ولا يزال كذلك حتى ييأس ويسأم فيولي وجهه شطر ألعوبة يتلهى بها، أو شغلة أخرى من الشواغل البديعة التي يفرضها على نفسه، ولا يفرضها أحد عليه، وأولها حراسة الباب والعواء على من يصعدون السلم أو يهبطونه. وقد تبعني اليوم إلى المكتب ونظر إليّ قليلاً، ثم غادر المكان الملعون يائساً عابساً دون أن يلح في الانتظار والمناورة؛ لأنه تعلّم بالمرانة الطويلة أن الانتظار في هذا المكان لا يفيد، وأن الكلب العاقل الرشيد هو الذي يغادر مكان الكتب والأوراق بغير تدبّر ولا تأمل ولا إطالة، والحق معه حتى في آراء الأناسي العقلاء الراشدين.

وقد أردت اليوم أن أدهشه وأخلف عاداته، فرفعت رأسي من الورق في بعض جيئاته وصحت به منادياً: بيجو بيجو تعال! إن كتابتي اليوم تعنيك، ألا تريد أن تقرأ ما كتبت؟ فوجم ولم يكدي صدق أذنيه. وتردد لحظة ثم قفز إلى الكرسي فالمكتب حيث الورق الذي أخط عليه هذا المقال، كأنه يريد حقاً أن يقرأه ويستطلع ما فيه، وكأنه لا يفضل بالعقل والرشد أولئك الأدميين الذي يعينهم ما يكتب عنهم الكاتبون، كما ظننته لأول وهلة.

ولكنه ما لبث أن أخافني من أسلوبه في القراءة والمطالعة؛ لأنه هو والتمزيق في عُرفه شيء واحد، وهل هو بدع في أسلوبه وهذا شأن كثير من الأدميين الذين أكتب عنهم؟ فنحيته برفق وحملته إلى الباب، وأرسلته في الدهليز وعدت إلى المكتب فأقفلته، ولا أزال أسمع نباحه يلاحقني بلهجات تتراوح بين الاستغراب والشكاية والسباب.

ويجب أن أعترف للقراء بأن كلبني «بيجو» ليس بكلبي على التحقيق، ولكنه كلبني في شريعة الدعوى والاعتصاب، أو كلب صديقي العزيز «فيفي» الذي لا يجاوز السنتين إلا منذ شهرين. ولا إخاله إلا مطالبي به قريباً بعد أن زال الموجب لإقصائه، وهو انحراف صحته في موعد التسنين، وفيما أصابه على أثر ذلك من مصاب أنقذه الله من خطره الشديد.

والأصل في المصائب أن تجمع بين الأصدقاء لا أن تفرق بينهما، كما افترق فيفي وصديقه بيجو. ولكن اللوم في هذا الافتراق على صداقة بيجو دون غيرها — أي على إفراطه في الصداقة لا على تقصيره فيها — فمعاذ الله أن يُتهم كلب بخيانة الأصدقاء.

كان بيجو يرى «فيفي» على سريره ساكناً من التعب والإعياء، فلا يحسب أن شيئاً تغير بينه وبين مولاه. ويقفز إلى السرير ليعرض خدماته التي لا يكل عنها ولا يتوانى فيها، وهي المواثبة والملاعبة واصطناع العض والمصارعة ومولاه في شاغل عن ذلك، ولكنه هو لن يقبل العذر ولن يعرف شاغلاً أهم من تلك الخدمات المرفوضات.

وإذا أقبل الطبيب وصرخ «فيفي» من مقاربتة وجسه وفحصه، كما يصرخ جميع الأطفال من جميع الأطباء، فما هي إلا لمحة كأسرع ما يكون لمح البصر، وإذا بأنياب «بيجو» توشك أن تنغرس في ساق الطبيب الذي يعتدي

على مولاه بما يُبكيه، أما إذا ربطوه اتقاءً لهذه المفاجآت فلا راحة ولا قرار في البيت كله، لا لمولاه العزيز ولا للنائمين حوله أو الساهرين عليه. لهذا عوقب «بيجو» على إفراط صداقته بالنفي من جوار مولاه أثناء توعكه وانحراف مزاجه، ورضيت أنا أن أتولى مؤسساته وحراسته أيام منفاه حتى تنجلي الغاشية فيعود إلى مأواه.

وما انقضت فترة وجيزة حتى أصبح «بيجو» شخصية من شخصيات البيت المعدودة، وحتى فرض على نفسه واجبات وأعمالاً لم يفرضها عليه أحد، ولكنه يغضب ويتذمر إذا قاطعته فيها أو عوقته عنها، كأنك تحسبه مخلوقاً عاطلاً لا يصلح لعمل، ولا يؤمن على واجب ... عرف عرف الفرق بين جرس التليفون وجرس الباب، فلا يدق هذا أو ذاك إلا أسرع إلى الإجابة، وغضب من الخادم كلما سبقه إلى غرضه، فتظاهر بعُضه والوثوب عليه.

ومن عجائب ذكائه إذا سمع جرس الباب أسرع إلى الباب، ولم يفعل كما تعود أن يفعل حين يسمع جرس التليفون. مع أن جرس الباب يدق في المطبخ، حيث يكون الخادم ولا يدق في المكان الذي يجري إليه، ولعله عرف أن فتح الباب المقصود بدق الجرس في المطبخ كلما جرى الخادم لفتحه على إثر سماع دقاته، ولكن تفريقه بين الجرسين براعة تشهد له بالقدرة على مزاوله الأعمال والواجبات.

ومن الأعمال والواجبات التي فرضها على نفسه ولم يفرضها عليه أحد أنه لا يدع إنساناً، ولا حيواناً يصعد السلم إلا أدركه بنباح الاحتجاج من وراء الباب، فيعدو أمامي ويعود إليّ ولا يزال يرقص، ويتوثب حتى أجزيه على استقباله بالتحية الواجبة والتربيت المحبب إليه. لأجل الطعام يهش لي «بيجو» هذه الهشاشة ويرعاني هذه الرعاية؟ أنا أود من الباحثين في طبائع الحيوان أن يراجعوا ملاحظاتهم وأحكامهم في أسباب التأليف والمودة بين الحيوان والإنسان، فإن إطعام الكلب ولا شك سبب من أسباب وفائه وتعلُّقه بأصحابه، ولكن لا شك أيضاً في أن الكلاب تفهم للمودة أسباباً غير الطعام، وتدرك معنى من معاني الصلة النفسية ليس مما يرتبط بالمنافع.

وأوضح دليل على ذلك أن «بيجو» يعتبر نفسه تابعاً لمولاه «فيفي»، ولا يعتبر نفسه تبعاً لأبيه أو خادم أبيه، وكلاهما يطعمه ويلطفه ويسقيه. أما

«فيفي» فهو لا يطعمه ولا يسقيه ولا يتورع عن خطف طعامه إذا ساغ في مذاقه، وقد يتبرم به فيضربه أو يقبض على لسانه، أو يضع أصبعه في عينيه، وبيجو في كل ذلك لا يقابل الأذى بمثله، ولا يفتأ متعلقاً بالطفل أشد من تعلقه بآله وذويه.

فلما زارني «فيفي» مع أبيه بعد شفائه ونجاته من خطره كان المعقول المنظور أن يخف «بيجو» إلى الأب الكبير، الذي يُعنى بإطعامه وإيوائه ويشمله بمودته. غير أنه التفت أول ما التفت إلى «فيفي» العزيز دون غيره، وتهافت عليه يعانقه، ويلحس وجهه بلسانه ويئن أنيناً من فرط حنينه وفرحه، وجهدنا جهداً شديداً في التنحية بينه وبين مولاه الصغير؛ لفرط ما أرهقه بتحياته ومجاملاته، وكنا سبعة منا أستاذ في علم الزراعة والحيوان، وأخ له أديب جم الاطلاع، وصديق مهذب من أدباء الموظفين، وسيدة إنجليزية وابنها اليافع، ووالد فيفي وكاتب هذه السطور. فأتعبنا الكلب الأمين الودود جد التعب، ونحن نبعده من هنا فيرجع من هناك على حال من اللهفة والاشتياق تجلب الدمع إلى الأماق. فماذا بين بيجو ومولاه فيفي من البر والمجاراة غير الصلة النفسية التي لا شأن لها بالطعام والشراب؟ ولماذا يحسب نفسه تابعاً للطفل، ولا يحسب نفسه تابعاً لأبيه؟ إنه لا يفقه أنهم أهذوه إلى فيفي الصغير؛ ليكون لعبته وحارسه وعشيرته، ولكنه قد يفقه أنه نده وقرينه بواشجة الطفولة، والملاعبة الصببانية، وهي على كل حال واشجة غير وشائج المنافع والطعام والشراب.

ويشبه هذا في الدلالة على إدراك الخلائق العجماء للصلات النفسية أن «بيجو» لا يطيق «الطاهي» أحمد حمزة، ولا يرتاح إلى رؤيته ولا يسمع النداء على اسمه حتى يحسبه تهديداً له بالعقوبة والإقصاء ... وهو مع هذا يألف فراش المنزل «محمدًا»، ويهش له ويستريح إلى مصاحبته في المنزل وفي الطريق. فلم كانت هذه التفرقة عنده بين هذا وذاك؟ كلاهما يقدم له الطعام، ويزيد صديقه «محمد» بتجريعه الدواء الذي يتعاطاه لعلاج السعال أحياناً، وهو يمقته وينفر منه أشد النفور. غير أن الطاهي «أحمد حمزة» يتحاشى «بيجو» خوفاً من النجاسة، فيشعر «بيجو» بجفائه ويلقاه بمثله، ويحتمل التجريع والغصص من زميله لأنه يحتفي به ويأنس إليه.

ومن إدراكه «للمعاني» الفكرية أنك إذا لمستَه بالعصا وهو غافل عن رؤيتها، فهو لا يبالي ولا يحفل ولا يحسبك غاضباً أو قاصداً لعقابه. ولكنه إذا التفت إليك ورأى أن العصا هي عصا التأديب التي تخوفه بها ظهر عليه الرعب، أو ظهر عليه الأسف والتوسُّل، كأنه يقرن بالعقاب معنى غير الضرب وألمه، وهو استياء سيده وإعداده له عدة العقاب.

والخلاصة أن «بيجو» مخلوق أنيس، وهو أفيد ما يكون في المكتبة التي يملكها ويستتقل ظلها؛ لأنني استفدت على يديه فوائد جلييلة، وأنا أقرأ بعض الكتب الحديثة في علم النفس وعلم الاجتماع.

يقول علم النفس إن التعاطف في التربية والتعليم أنفع وأنجح من تبادل الأفكار، وبيجو يؤكد لي ذلك؛ لأنني أرى منه أن الكلاب أسرع تعلمًا من القردة، وهي أرفع في مرتبة التكوين والإدراك. وإنما فاقت الكلاب القردة بسرعة التعليم؛ لأنها عاشرت الإنسان طويلاً فاتصلت بينه وبينها العاطفة، وإن لم يتقارب بينه وبينها تركيب الأعصاب والدماغ.

ويقول علماء الاجتماع من أنصار «الفاشية» إن الغرائز لا تتبدل وإن الحرب والعدوان غريزة الإنسان، فلا فائدة لوعظ الواعظين بالسلام، ونصح الناصحين بالإخاء والعدل والمساواة، وبيجو يدحض ذلك أيما إدحاض؛ لأنه قد تحدّر من سلالة الذئاب، فما زالت به التربية والمصانعة حتى أصبح حارس الأطفال والجملان، وقد كان قبل ذلك آفة كل طفل من بني الإنسان، وكل صغير أو كبير من أبناء الضأن.

ويعد «بيجو» بحق من أحسن الشُّراح للعالم الروسي «بافلوف» صاحب التجارب المشهورة في إخوان بيجو من الكلاب الروسية، فإنه جرب أن الكلب يسيل لعابه إذا شاهد الطعام، فقرن بين تحضير الطعام له ودق الجرس على مقربة منه، فإذا بنفمه يتحلّب كذلك كلما دق الجرس، ولو لم تصحبه رؤية طعام.

فبنى على ذلك مذهبه في مقارنات العواطف، ومصاحبات الشعور وظواهره الجسدية.

وجاء علماء النفس والتربية، فاستفادوا من ذلك فوائد شتى في علاج الخوف والجشع والعادات الذميمة التي يصعب علاجها في بعض الأطفال،

فجعلوا يقرنون الشيء المخيف بالشيء المحبوب؛ ليعوّدوا الطفل أن يسكن إليه ولا يخشاه، ويقرنون الشيء المرذول الذي يحبه الطفل بالشيء المزعج الذي يقصيه عنه وينفره من إتيانه؛ ليقلع عن ذميم الخلال بداهة وعفواً بغير أمر ولا إلحاح.

بيجو خير مفسّر لهذا المذهب النافع الذي كان الفضل الأول فيه لواحد من أبناء جنسه، فقد عهدته في منزله الأول، وليس أبغض إليه من السلسلة والطوق؛ لأنهم كانوا يقيّدونه بهما في حديقة الدار كلما أضجرهم بعبثه وفضوله. فلما جاء عندي وليس للمنزل حديقة واسعة أطلقه فيها أصبحت السلسلة والطوق من أحب الأشياء إليه، وأدعاهما إلى طربه وابتهاجه؛ لأنه تعودّ كلما رُبط بالسلسلة والطوق أن يخرج مع الخادم لغشيان الطريق، وقضاء ساعته المنذورة للمرح والرياضة في الخلاء.

ولبيجو فنون أخرى يشارك في تفسيرها وتفهمها، وفضائل شتى يتبرع بهداياها ومزاياها، وإن في بعض هذا لما هو حسبنا من تقدير للأستاذ بيجو، والصديق بيجو والزائر الكريم بيجو الذي نخشى أن نسطو عليه لفرط ما نستفيد منه ونأنس إليه.

والآن وقد عرف القارئ من هو «بيجو» لا أراني بحاجة إلى اعتذار من الحزن عليه، والوفاء لذكراه، فإنه لم يخطئ في وفائه ولم يخطئ في خلقته. ولم يخلق إنساناً فدنس الإنسانية بالغدر، ولكنه خلق كلباً فشرفّ الحيوانات بالوفاء.

## بيجو

حزناً على بيجو تفيض الدموع  
حزناً على بيجو تثور الضلوع  
حزناً عليه جهد ما أستطيع  
وإن حزناً بعد ذاك الولوع  
والله - يا بيجو - لحزن وجيع

هنا ... وهناك

\*\*\*

حزناً عليه كلما لاح لي  
بالليل في ناحية المنزل  
مسامري حيناً ومستقبلي  
وسابقي حيناً إلى مدخلي  
كأنه يعلم وقت الرجوع

\*\*\*

وكلما داريت إحدى التحف  
أخشى عليها من يديه التلف  
ثم تنبّهت وبني من أسف  
ألا يصيب اليوم منها الهدف  
ذلك خير من فؤاد صديع

\*\*\*

حزني عليه كلما عزني  
صدق ذوي الألباب والألسن  
وكلما فوجئت في مأمني  
وكلما اطمأنت في مسكني  
مستغنياً أو غانياً بالقنوع

\*\*\*

وكلما ناديته ناسياً:  
بيجو! ولم أبصر به أتياً  
مداعباً مبتهجاً صاغياً  
قد أصبح البيت إذن خاوياً  
لا من صدى فيه ولا من سميع



\* \* \*

نسيت؟ لا، بل ليتني قد نسيت  
أحسبني ذاكره ما حييت  
لو جاءني نسيانه ما رضيت  
بيجو معزّي إذ ما أسيت  
بيجو مناجي الأمين الوديع

\* \* \*

بيجو الذي أسمع قبل الصباح  
بيجو الذي أرقب عند الرواح  
بيجو الذي يزعجني بالصياح  
أو نبحة منه، وأين النباح؟  
ضيعت فيها اليوم ما لا يضيع

\* \* \*

خطوته يا برحها من ألم  
يخدش بابي وهو زاوي القدم  
مستنجدًا بي، ويح ذاك البكم!  
بنظرة أنطق من كل فم  
يا طول ما ينظر! هذا فظيع

\* \* \*

ثم، لا أرى النوم لعيني يطيب  
أنتم خبيرون بنهش القلوب  
يا آل قطمير هواكم عجيب  
غاب سنا عينيك عند الغروب  
وتنقضي الدنيا ولا من طلوع

هنا ... وهناك

\* \* \*

نم واترك الأفواج يوم الأحد  
والبحر طاغ والمدى لا يُحد  
عيناي في ذاك وهذا الجسد  
بوحشة القلب الحزين انفرد  
والليل والنجم وشعب خليع

\* \* \*

أبكيك أبكيك وقلّ الجزاء  
يا واهب الود بمحض السخاء  
يكذب من قال طعام وماء  
لو صح هذا ما محضت الوفاء  
لغائب عنك وطفل رضيع

## هوامش

- (١) مهداة إلى صحيفة النيل الغراء بالخرطوم.
- (٢) إشارة إلى جزيرة مصر المشهورة والمقرن هو حديقة بالخرطوم في موضع الاقتران بين النيلين.
- (٣) إشارة إلى صحيفة صوت السودان الغراء من أكبر صحف الخرطوم.
- (٤) هذا الوصل لا يرضاه العروضيون، ولا نجري على مذهبهم فيه.
- (٥) اقترحت محطة الإذاعة المصرية موضوع هذه القصيدة لتحية المحطة العربية بلندن عند الاحتفال بمرور عامين على افتتاحها.
- (٦) الأثير هنا بمعنى المأثور وهو المفضل المنتقى.
- (٧) أذيعت في مطلع العام الثاني لمجلة «المستمع العربي»، التي تصدرها محطة الإذاعة العربية بالعاصمة الإنجليزية.
- (٨) اسم من أسماء دمشق.

- (٩) اتفق في إبان الاحتفال بعام المجلة الثاني أن تحولت كفة النصر إلى جانب الدول الديمقراطية.
- (١٠) الخلّة هي الخليلة والصديقة.
- (١١) الكتب في الغالب موتى يتكلمون، فإذا قرأت فيها فكأنك تصغي إلى جماجم تتكلم.
- (١٢) عمر الخيام الشاعر الفيلسوف الفارسي، وله رباعية بهذا المعنى.